جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

ظاهرة التَسَحُّب وأثرها على المجتمع في مصر وبلاد الشام في عصر دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

The Phenomenon Of Withdrawal And Its Impact On Society In Egypt And The Levant The Era Of The Circassian Mamluk State (AH/1382-1517 AD 923-784)

إعداد

د. حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر

تفهنا الأشراف

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الأول-فبراير)

(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

ظاهرة التَسَحُّب وأثرها على المجتمع في مصر وبلاد الشام عصر دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

قسم التاريخ والحضارة، كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، تفهنا الأشراف، مصر.

البريد الإلكتروني: *safwahssan12@hotmail.com*

الملخص

عندما يتعرض بعض الأفراد لمشكلة ما يتخذون مواقف متباينة ومتنوعة تجاهها، وتتباين مواقف الأفراد على حسب درجة القرب أو البعد عن المشكلة جغرافياً واجتماعياً، ومن هذه المواقف: الثبات والقدرة على مواجهة الصعوبات والتحديات، اللامبالاة، الاستسلام بقضاء الله وقدره، التسحب بمعنى (الهروب أو الفرار أو الاختفاء).

فالهروب والاختفاء بدلاً من المواجهة هو سلوك يقوم به الأشخاص عندما يشعرون بالضغوط أو الصعوبات أو المشكلات أو الخوف والقلق من أمر ما، حيث يقومون بالابتعاد عن هذه المشاكل وتجنبها بدلاً من مواجهتها والتعامل معها، وهو ما أطلق عليه بعض مؤرخي العصر المملوكي بـ "التّسحُب". ففي الواقع كانت النصوص التاريخية التي أوردها مؤرخو العصر المملوكي قاطعة المعنى في استخدام لفظ " التسحب "، ولهذا يمكن القول بأن التسحب وما يرادفه من هروب وانسحاب وفرار كان إحدى الحلول الناتجة عن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني في العصر المملوكي. ولذا تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على هذا الموقف وصوره في دولة المماليك الجراكسة، والوقوف على نوعية الأسباب والظروف التي قد تدفع الأشخاص إلى التسحب والهروب من المشاكل والصعوبات التي تقابلهم، وأثرها وتداعيات ذلك الأمر على المتسحبين أنفسهم ثم على المجتمع المملوكي آنذاك.

الكلمات المفتاحية : **التسحب ، الهروب ، الفرار، الاختفاء ، المماليك الجراكسة.**

The Phenomenon Of Withdrawal And Its Impact On Society In Egypt And The Levant The Era Of The Circassian Mamluk State

(*AH /1382-1517 AD 923-784*)

Noura Gouda Rizq Ahmed

Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arab Studies, Beni Suef Girls, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt

Email*: Noraahmed2232@azhar.edu.eg*

Abstract:

When some individuals are exposed to a problem, they take different and varied positions towards it, and the positions of individuals vary according to the degree of proximity or distance from the problem geographically, socially and scientifically. These attitudes include: steadfastness and the ability to face difficulties and challenges, indifference, surrender to God's will and destiny, and withdrawal (escaping, escaping, or disappearing.)

The phenomenon of fleeing and disappearing instead of confrontation is a behavior that people do when they feel pressure, difficulties, or problems, as they stay away from and avoid these problems instead of confronting and dealing with them, which is what some historians of the Mamluk era called "withdrawal".

This study aims to shed light on this phenomenon and its forms in the Circassian Mamluk state, and to determine the types of reasons and circumstances that might push people to withdraw and escape from the problems and difficulties they encounter, and its impact and repercussions on the withdrawn people themselves and then on the Mamluk society at that time.

Keywords: ***Withdrawal , Escape , Flight , Disappearance , Circassian Mamluks.***

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد،،،

فلقد بنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الحياة على التضاد، وأجرى أمورها على التقلب، فما من شدة إلا ويتبعها رخاء، وما من بلاء إلا ويخلفه رغد، ولا ضيق وكرب إلا ويعقبه الفرج، ولا فشل إلا ويتلوه النجاح.

اتسم العصر المملوكي الثاني بالصراع والتنافس بين الأمراء المماليك فلجأ البعض منهم إلى التسحب لإزالة هذا الاحتقان، كما لجأ البعض إلى هذا الأمر هربًا من العقوبة أو مخافة جور السلطان وظلمه، وغالبًا ما تحدث هذه الظاهرة عندما يشعر الشخص بالعجز عن التعامل مع المواقف الصعبة أو الضغوط السياسية أو الاجتماعية أو الدينية، فقد يعتقد البعض أنه الابتعاد عن المشكلة أو تجنبها، سوف يتخلص من القلق والتوتر الناتج عنها، وبالتالي سيكون في حال أفضل .

هذا وبالرغم من أن الانسحاب قد يمنح الشخص إحساسًا مؤقتًا بالأمان، إلا أنه لا يحل المشكلة بالفعل، فالمشاكل والضغوط لا تزول عن طريق تجنبها، بل تزداد تعقيدًا وتأثيرًا على المدى الطويل، والأمثلة على ذلك كثيرة في عصر المماليك الجراكسة، فأحيانًا كانت تصدر ضد المنسحبين الأحكام الصارمة انتقامًا منهم .

ونظرًا لخطورة التسحب والاختفاء من الحياة العامة من ناحية ومطاردة المنسحبين وتأثير ذلك على استقرار الدولة في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان من الضروري الكشف عن أسباب حدوثها ونتائجها وأيضًا العوامل المحفزة للهروب من عوامل سياسية، ونفسية، واجتماعية مثل الخوف من العقوبات

أو فقدان الهوية، معتمدة على المنهج الوصفي والتحليلي واستقراء المصادر المعاصرة من أجل تفسير المعلومات الواردة فيها.

وعلى حد علم الباحثة لا توجد دراسة منفردة تتناول تلك الظاهرة بالبحث والتدقيق، وهو ما دفع الباحثة للتصدي لهذه الظاهرة خاصة وأنها كانت إحدى الظواهر الواضحة التي أفرزها الواقع السياسي آنذاك في المجتمع المملوكي، وعلى هذا فإن هذه الدراسة تعد من الدراسات التاريخية الاجتماعية التي تناقش حالة المجتمع وسلوكه وتصرفاته في وقت من الأوقات.

فظاهرة التسحب كانت سمةً بارزةً في العصر المملوكي، ولعبت دورًا حاسمًا في تشكيل تاريخ هذه الدولة، ولفهم أسباب هذه الظاهرة وآثارها، يجب علينا إعطاء لمحة عن السياق التاريخي، والسياسي، والاجتماعي الذي كانت تجري فيه هذه الأحداث، فالدولة المملوكية البرجية، أو الجراكسة أو الشراكسة كما يطلق عليها البعض، هي الفرع الثاني للدولة المملوكية في مصر، وقد استقدمهم السلطان المنصور قلاوون إلى القاهرة ؛ لأنه أراد أن يستعين بهم كقوة موالية لها رغبة في توريث السلطة لأبنائه في مصر[١] ، كما أراد أن يكون هذا العنصر عوناً له ولأولاده من بعده ضد الطوائف المملوكية الأخرى[٢]، وقد أسكنهم السلطان قلاوون سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م أبراج القلعة [٣]، التي كانت عبارة عن طباق، يبلغ عدده ١٢ طبقة و كل طبقة مقدار

---

(١) عبدالمنعم ماجد : طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،١٩٧٨م، ص٢٨ .

(٢) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ط ١، دار النفائس، بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٢٦ ،٣٢٧.

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ج٣ ،ص٦٩٤.

حارة تشمل علي عدة مساكن ، بلغ عدد ساكني كل طبقة ١٠٠٠ مملوك[١]، ولهذا أُطلق عليهم اسم " المماليك البرجية"[٢].

بدأت بعد الدولة المملوكية البحرية بعد سلطنة الظاهر برقوق أول سلاطين الدولة البرجية في مصر عام٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ، والذي تولى بعده ثلاث وعشرون سلطانًا كان آخرهم السلطان الأشرف طومان باي الذي انتهى حكمهُ باستيلاء العثمانيين على مصر عام٩٢٣هـ/١٥١٧م. ومنذ ذلك الحديث دخلت بلاد الشام ومصر تحت سيطرة الدولة العثمانية.

هذا وقد قمت بتقسيم البحث بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمصطلح التسحب.

- التَسَحُّب لغة واصطلاحا.
- نظائر التسحب في اللغة.

المبحث الثاني: الأسباب الرئيسة للتسحب:

- أولًا: ضعف السلاطين وتسحبهم خشية القتل.
- ثانيًا: الخروج على السلطان وإعلان العصيان والتمرد.

(أ)- الخروج والعصيان طمعًا في السلطنة.

(ب)- الخروج والعصيان طمعًا في الأموال.

---

(١) حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٦م ،ص١٣.

(٢) المقريزى : الخطط المقريزية ،ج٣ ،ص٦٩٤ . سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م ، ص١٣٦.

- ثالثًا: التسحب خوفًا من نقمة الحكام وسخطهم.
- رابعًا: الجبن والخوف وعدم الثبات أمام الأعداء.
- خامسًا: التسحب خوفًا من العقوبة.
- سادسًا: التسحب نتيجة الإحباط والإحساس بالعجز أمام المشاكل الاقتصادية.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على ظاهرة التسحب:

أولًا: الآثار المترتبة على المتسحب نفسه.

- الإمساك بالمتسحب وتنفيذ العقوبة.
- إسقاط العقوبة التي تسحب خوفا منها أو تخفيفها.
- فقدان وظيفة المتسحب.
- زيادة التوتر والضغط النفسي.
- اضطراب الحياة الاجتماعية للأسر المحيطة بالمتسحب.

ثانيًا: الآثار المترتبة للتسحب على المجتمع المملوكي آنذاك.

- ضياع الحقوق.
- الإضرار بالغير واتهامهم بالتقصير.
- الإضرار بالجانب الاقتصادي والاجتماعي للدولة.

المبحث الرابع: العوامل التي حدت من ظاهرة التسحب:

وأنهيت البحث **بخاتمة** بها أهم ما تم التوصل إليه البحث من نتائج، ويليها قائمة **بمصادر ومراجع الدراسة**. والله من وراء القصد،، وهو يهدي السبيل.

ظاهرة التَسَحُّب وأثرها على المجتمع في مصر وبلاد الشام عصر دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

المبحث الأول: التعريف بمصطلح التسحب:

التَسَحُّب لغة واصطلاحاً.

التَسَحُّب في اللغة هو (اسم) مصدر تسَحَّبَ، تسحَّبَ إلى، يتسحّب، تسحُّبًا، فهو متسحِّب، والمفعول متسحَّبٌ إليه، فيقال تسَحَّبَ في حقٍّ فلان: أي: اغتصبه وأَضافه إلى حقِّهِ، وتسَحَّبَ فلانٌ: بمعنى تدلَّلَ، وقوله تسحَّب فلان إلى الغرفة: أي: تسلّل إليها خلسة دون أن يراه أحد. وسَحَبَ: (فعل) سحَبَ يَسحَب، سَحْبًا، فهو ساحِب، والمفعول مَسْحوب، سحَبه: جرّه على الأرض، جرَّه خلفه، والمقصود من قوله " سَحَبَ يَدَهُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ": أيْ كَفَّ عَنِ التَّدَخُّلِ فِيهَا، وسحب نفسَه من كذا: خلع نفسه ومنع نفسَه من التدخَل في كذا. وانْسَحَبَ الضَّيْفُ: أي انْصَرَفَ وخرج، وانْسَحَبَ الرجل مِنَ الْمَجْلِسِ ومِنَ الاجْتِماعِ، أي انْسَحَبَ مِنْ كُلِّ مَسْؤُولِيَّةٍ، وتَخَلَّى عَنْ وتَرَكَ. وانسحاب الجيش من المعركة أي تراجع عن موقعه وتقهقر(١).

ومما سبق يتضح أن التسحب في الاصطلاح فهو التراجع والتخلي والعدول عن أمر ما والانسحاب منه دون أي مسؤولية، وسحب يده منها متقهقرا .

نظائر التسحب في اللغة.

ولفظ التسحب يوازي مصطلح الفرار والهروب في عصرنا، ونظائره في اللغة كثيرة (٢)

---

(١) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت ، ج٣، ص٤٢. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مج١، ص١٠٣٩.

(٢) منها: الحيص، والمناص، والحيد، والنفاذ، والإباق. للتفصيل ينظر.عائشة بنت محمد بن مبخوت الحمدان: الفرار في ضوء القرآن الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،

←←←

نذكر منها الفرار والهروب؛ فالفرار من فرَّ يفِرُّ فِرارًا: أي هرب عن الشيء وخافه، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [١]، أي: لأدبرت عنهم هاربًا منهم فارًا، أما الهروب من الهرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[٢]، أي: لو فررنا من عذابه لن نعجزه أن يعذبنا[٣].

والفرق بين الهروب والفرار: أن الهروب ردة فعل وحركة غير إرادية تجاه موقف ما وغالبا يكون لوجهة غير معلومة أو معروفة. أما الفرار فهو إسراع في أمر ما لقصد وجهة معلومة ومرتب لها مسبقًا[٤].

←←←

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، مج(١٤)، العدد (٢٧)، جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ، ص١١٤- ١١٩.

(١) سورة الكهف آية ١٨.

(٢) سورة الجن آية ١٢.

(٣)عائشة الحمدان: الفرار في ضوء القرآن الكريم، ص١١٩.

(٤)عائشة الحمدان: الفرار في ضوء القرآن الكريم، ص١١٤.

المبحث الثاني: الأسباب الرئيسية للتسحب:

تعددت الأسباب المؤدية للتسحب نظراً لظروف المجتمع المملوكي آنذاك، فمنها ما هو متعلق بالنواحي السياسية والإدارية ومنها ما هو متعلق بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية، ومنها ما هو ناتج عن بعض المساوئ المتعلقة بأخلاقيات المجتمع وسلوكه. وهي:

أولًا: ضعف السلاطين وتسحبهم خشية القتل:

لقد طالت ظاهرة التسحب بعض سلاطين دولة المماليك الجراكسة ويرجع ذلك إلى الضعف والخوف والذعر من صراعاتهم الداخلية مع أمرائهم، وأولهم السلطان برقوق[١] (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م) الذي تسحب واختفى لما تغلب الأمير منطاش الأشرفي[٢]،

---

(١) السلطان برقوق: الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص القائم بدولة الجراكسة، كان أصله مملوكًا ليلبغا العمري، وكان اسمه الطنبغا لكن الأمير يلبغا سماه برقوق لنتوء في عينه ، تولى السلطنة مرتين: الأولى في ٧٨٤هـ/١٣٨٢م حتى٧٩٠هـ/١٣٨٨م، والثانية في ٧٩٢هـ/١٣٩٠م وظل فيها حتى وفاته سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص١٤١.السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر، ط١، ١٩٦٧م، ج٢، ص ١٢٠.

(٢) منطاش الأشرفي: هو تمربغا بن عبد الله الأفضلي الأشرفي نسبة إلى الأشرف شعبان بن حسين، الشهير بمنطاش، رفيق الأتابك يلبغا الناصري، قتل بقلعة حلب سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م. انظر ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ج٤، ص٣٦٤- ٣٦٦، ترجمة رقم ٩٩٥، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ،ج١،ص٣٧٣. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ←←←

ويلبغا الناصري [١] عليه في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٢] وذلك عندما حدثت وحشة بينه وبين الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، وقد زادت الفجوة بينهما عندما استدعاه السلطان فخاف يلبغا أن يقبض عليه فاعتذر له عن الحضور بحجة الخوف على حلب من التركمان، فلم يقبل السلطان عذره، ومن هنا علم الأمير يلبغا بنوايا السلطان تجاهه ورغبته في القبض عليه، فقبض على عدة أمراء لتخوفه منهم، وانضم إليه الأمير منطاش وخرجا على طاعة السلطان[٣]، وأصبح "السلطان في تخوف شديد من الأمير يلبغا لقوته وكثرة أتباعه"، وهنا قويت شوكة الأمير يلبغا وزادت عزيمته على ملاقاة السلطان برقوق[٤]، ففكر السلطان برقوق في التسحب بدلا من مواجهة أمراء الشام، فهرب واختبأ بعدما "ظهر من خوف السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة له

→→→

تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م ، ج٤، ص٩٤.

(١) يلبغا الناصري: هو الأمير يلبغا بن عبدالله الناصري الأتابكي اليلبغاوي الأمير سيف الدين، مملوك الأتابكي يلبغا العمري، ونسبته للناصري لجالبه خواجاً ناصر الدين وهو صاحب الوقعة مع السلطان برقوق ورفيق منطاش، ثم آل أمره إلى أن تولى نيابة دمشق لبرقوق في سلطنته الثانية، ثم قبض عليه برقوق وقتله بقلعة حلب سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م. ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٤٣١. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢، ص١٦٢ ترجمة رقم ٢٦٨٣.. الدليل الشافي، ج٢، ص٧٩٣.

(٢) ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية. تحقيق: وليم م . برينر، بركلي– كاليفورنيا، ١٩٦٣ م، ص١٨، المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٣٦.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢١٦. ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧٠م، ج١، ص١٨٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م ، ج١١، ص٢٧٦.

ورحمة عليه"[١]، وكثر البحث عنه من قبل الأمير يلبغا الذي نادى بالقبض عليه وهدد من يخفيه، وآل الأمر إلى أن قُبِضَ عليه وسجن بالكرك " ثم تسحب من الحبس"[٢] مرة أخرى واختفى بالمدينة مدة حتى قوى مركزه واستعاد حميته، ونجح في استعادة الحكم والإطاحة بمنطاش وغيره ممن يخافهم ويخشاهم[٣].

وقد تكرر ما فعله السلطان برقوق مع ابنه السلطان الناصر فرج [٤]وذلك عندما واجهته نفس الصراعات فاستحسن التسحب والاختفاء، ويظهر رد فعله هذا بعدما

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٠. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٠٥. محمد السيد فياض: ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم، العدد الثلاثون، سبتمبر، ٢٠١٩م ص٢٠٠.

(٢)العاصمي: سمط النجوم العوالي في أبناء الاوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٤، ص٤١. وكان تسحب من الحبس بمساعدة بعض أعوانه.

(٣) أنظر عن قصة تسحب السلطان برقوق ورجوعه للحكم مرة أخرى أنظر. المقريزي: السلوك ، ج٥، ص٢١٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١١، ص٢٥٦ -٢٥٨. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج١، ق٢، ص٣٩٥. إيمان عمر شكري: السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٣٧ :٢٣٨

(٤) السلطان فرج بن برقوق بن الناصر الزين أبو السعادات الظاهر الجركسي، ولد في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م حكم بعهد من أبيه عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م وكان عمره دون العشر سنين، وظل في سلطنته حتى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم عزل لكنه عاد إلى السلطنة مرة ثانية ودام فيها حتى هزمه الأمير شيخ والأمير نوروز في موقعة اللجون بالشام وفر إلى دمشق فتبعه شيخ ومن معه وحاصروه فاستسلم واعتقل في صفر عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، واستفتوا العلماء فأفتوا ←←←

حصل خلاف بينه وبين بعض أمرائه سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م فتسحب واختفى مدة ببيت أحد أنصاره خوفًا من تبعات الأحداث، وخشية القتل فآثر التسحب مدة من الزمن حتى تتحسن الأحوال أو يقضي الله أمرًا كان مفعولًا[١]، وحالفه الحظ معه فبعد أن تولى أخاه الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز[٢] مقاليد الحكم واستتب له الأمر، ظهر فرج واستعاد السلطنة مرة أخرى بعد شهرين من تسحبه، وقبض على أخيه المنصور عز الدين، وسجنه واستمر هذه المرة في الحكم نحوا من سبع سنوات

←←←

بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم فقتل في ليلة السبت ١٧ صفر ودفن بدمشق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٣، ص٧٢. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٨م ، ج٦، ص١٦٨ ترجمة رقم٥٦٢.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤٤. . ويحكى ابن تغري بردي ذلك واصفا تسحبه بقوله: " واستمر ذلك وزاد إلى أن ضجر الملك الناصر فرج منهم وترك ملكه، وتسحب من القلعة من غير أن يكرهه أحد على ذلك، وكان وقت تسحبه من القلعة في وسط نهار الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة. واختفى الناصر؛ فلم يعرف له مكان". انظر: مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٧م ، ج٢، ص١٢٣.

(٢) المنصور عبد العزيز، ولد بعد سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م وتقلد منصب السلطنة سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م بعد اختفاء أخيه الناصر فرج، ولقب بالمنصور وكنيته أبا العز، واستمر في الملك حتى عاد الناصر مرة أخرى، ومات في الإسكندرية سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م.المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٥. ابن تغري بردي: الدليل الشافي، على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم محمد شلتوت- القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩، مج١، ص٤١٤، المنهل الصافي ، ج٧، ص٢٧٢-٢٧٤.

٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م[١].

وكذلك تسحب الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي[٢] من القلعة في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م خوفًا على نفسه من القتل بعدما قام الخليفة والقضاة والأمراء بخلعه من السلطنة وإسنادها إلى الملك الظاهر جقمق[٣] (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)، الذي قام بسجن الملك العزيز في بعض دور القلعة حتى ينفرد بأمور الحكم[٤] وهنا خشى الملك العزيز على نفسه وتملكه الخوف الشديد، فقرر الإنسحاب[٥]، حيث حسّن له أحد طواشيته التسحب والنزول من القلعة إلى القاهرة

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر ، ج٢، ص٣١٦، ٣١٧، ٣١٩-٣٢٠ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ٣٢٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٣٣، ٧٣٤.

(٢) الملك العزيز: يوسف بن برسباي، التاسع من ملوك الجراكسة، ولد سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، وتسلطن بعد موت أبيه في ٨٤١هـ/١٤٣٧م، وعمره أربع عشرة سنة، وخلع من السلطنة سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، لم يكن له فيها إلا مجرد الاسم فقط. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٥٦، ١٥٧".

(٣) الظاهر جقمق: سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري برقوق الجركسي، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من الجراكسة، تولى السلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف في ٨٤٢هـ/١٤٢٨م، ظل سلطانًا حتى وفاته في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. ابن عربشاه: التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر أبي سعيد جقمق المعروف بـ سيرة السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين جقمق، ط١، تحقيق: محمد شعبان أيوب، دار البشير للثقافة والعلوم، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ص١٧٤ وما بعدها. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٥٨. المنهل الصافي، ج٤، ص٢٧٥.البقاعي: إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ط١، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض، ١٩٩٣م، ج١، ص٣٠٢- ٣٠٤.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٨٢.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٨٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٩٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٩.

لتثور مماليك أبيه(الأشرفية) على السلطان، إلا أن الملك الظاهر جقمق تمكن من القبض عليهم جميعا فنفاهم وفرقهم في البلاد[١]، أما الملك العزيز يوسف فآل أمره إلى الحبس في قلعة الجبل مرة أخرى لبضعة أيام ثم أخرج إلى الإسكندرية وسجن بها، إلى أن أطلقه الملك الظاهر خشقدم(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م) [٢] في أول سلطنته سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م وأسكنه بدار في الإسكندرية حتى مات بها سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م [٣].

ولم يمكث السلطان أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق في سلطنته سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م طويلا فبعد وفاة والده وذلك بعد ولايته باثني عشر يوما وقعت فتنة بين الأمراء أدت إلى خلعه من السلطنة وكان سنه دون العشرين ، فقاتل بعد الخلع قتالا شديدا ثم حبس " فتسحب من الحبس" هو الآخر إلا أنه قبض عليه في الحال وأرسل إلى سجن الإسكندرية فظل به إلى سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م حيث أطلقه السلطان خشقدم وأمر بإكرامه وهو بالإسكندرية وكانت مدة سلطنته نحو أربعين يوما[٤].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٨٢، العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٥٣٦.

(٢) الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري المؤيدي، اشتراه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه، ولي السلطنة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك والرابع عشر من ملوك الجراكسة، واستمر حتى وفاته سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص ١٧٣-١٧٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٢٧. مورد اللطافة، ج٢، ص١٥٧.

(٤) العاصمي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٥١.

وفي سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م تسحب السلطان المخلوع الظاهر تمربغا إلى دمياط ومنها إلى الشام بعدما تولى السلطنة الأشرف قايتباي[١] (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) خوفا من سخطه، وعندما علم السلطان قايتباي بتسحبه أمر الأمير يشبك الدوادار بالخروج لملاقاته في غزة[٢].

كما أورد ابن طولون الدمشقي خبرًا عن تسحب السلطان الظاهر قانصوه الأشرفي[٣] (٩٠٤ – ٩٠٥ هـ/١٤٩٨– ١٥٠٠م) قائلا: " وفي يوم الأحد ثامن ذي الحجة المذكور اشتهر بدمشق بأن السلطان الملك الظاهر المنتصب اختفى من قلعة مصر، قيل أنه خرج منها في زي امرأه ثم اختفى أو تسحب فالله يحسن العاقبة"[٤].

---

(١) الأشرف أبو النصر قايتباي: جركسي الجنس، اشتراه الأشرف برسباي، ثم نقل إلى الظاهر جقمق، فأعتقه، ولي السلطنة في ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، وحتى ٩٠١هـ/١٤٩٦م. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٨٥. عبد الرحمن محمود عبد التواب: قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٥.

- **غزة: إحدى مدن فلسطين على الساحل الفلسطيني. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٠٢.**

(٣) السلطان قانصوه الاشرفي: هو الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه الأشرفي، السابع عشر من ملوك الجراكسة، أصله جركسي الجنس اشتراه الأمير قانصوه الألفي، وقدمه للسلطان قايتباي في ٨٩٨هـ/١٤٩٢م فأدخله الطباق، صار خازندار كبيراً في عهد السلطان محمد بن قايتباى وقاتل معه ضد قانصوه خمسمائة مما كان داعياً له لتولي الدودارية الكبرى، ولما قُتل السلطان محمد تولى السلطنة، وقد كانت مدته فيها سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص٤٠٤- ٤٣٦ .

(٤) إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق: عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة، ١٩٧٣م ، ص١٣٢.

ولم يمض عصر سلاطين المماليك الجراكسة دون أن يشهد تسحب آخر سلاطين ذلك العصر السلطان طومان باي[١] الذي ظل يقاتل بعد كسرة المماليك في الريدانية مع من تبقى معه من المماليك السلحدارية والعبيد الرماة فقتل من العثمانيين الكثير، إلا أنه عندما تكاثر عليه العثمانيون ورأى العسكر قد قلّ من حوله خاف أن يقبضوا عليه فطوى الصنجق السلطاني وولى متسحبا واختفى، فكان نتيجة تسحبه أنهم دخلوا القاهرة وملكوها عنوة بالسيف ونهبوا بيوتها وحواريها[٢].

مما سبق نرى أن السلطة الحاكمة المتمثلة في سلاطين المماليك قد لجأت في بعض الأحيان إلى التسحب، خوفا على أنفسهم من القتل أو قضاء ما تبقى من حياتهم في السجن نتيجة لضعفهم، فكان تسحبهم محاولة منهم للابتعاد عن الأخطار وتجنب الصراعات وأخذ فرصة للإعداد مرة أخرى للعودة إلى السلطنة متى سنحت الظروف بذلك، وأن بعضهم يفضلون تجنب المشاكل بدلاً من مواجهتها، فقد يرى أن التجاهل أو التهرب هو الحل الأسهل حتى يقضي الله في أمره.

فضعف السلاطين كان سببًا في تسحبهم من ناحية ومن ناحية أخرى سببًا رئيسًا في الصراعات الداخلية بين الأمراء من أجل السيطرة على السلطة؛ فعندما يكون

---

(١) السلطان طومان باي: آخر ملوك الجراكسة بمصر اشتراه الغوري وقدمه إلى السلطان قايتباي، أعتقه وبدأت ترقيته في عهد الناصر محمد بن قايتباي وفي عهد الغوري أصبح دواداراً كبيراً ونائباً لغيبته، وبعد وفاة السلطان الغوري تسلطن طومان باي، وقام بمحاربة العثمانيين وكاد ينتصر ولكن القدر لم يعفه فمات خنقاً على باب زويلة. انظر ابن إياس: بدائع الزهور،ج٥، ص١٠٣- ١٠٥، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٦م،ج١٠،ص١٦١، السيد محمد الدقن: السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م/٢٠٠٣م،ص١٥-١٩.

(٢)ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٤٦، ١٤٧.

السلطان ضعيفا أو غير قادر على السيطرة على الأمراء، يصبح من السهل عليهم التمرد وإعلان العصيان عليه وهو ما خلق نوعا من التسحب عند بعض الأمراء.

ثانياً: الخروج على السلطان وإعلان العصيان والتمرد:

كثر خروج كبار الأمراء على سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة لبعض سياسات السلاطين الظالمة أو طمعا في السلطنة، فمنهم من نجح واستولى على عرش السلطنة ومنهم من تسحب خوفا من سوء عاقبته، وكان ممن آثروا التسحب في ذلك العصر على سبيل المثال لا الحصر:

(أ)- الخروج والعصيان طمعا في السلطنة

في بداية العصر الجركسي كانت لسياسة السلطان برقوق مع مماليكه وتحيزه إلى المماليك الجراكسة وخصهم بالوظائف الكبرى والإقطاعات على حساب المماليك الأتراك أثره على أحوال دولته فقد أدى ذلك إلى نشوب الكثير من التآمرات والثورات ضده منها ثورة الطنبغا السلطاني الأشرفي نائب أبلستين[١] عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وكان الطنبغا أميرًا تركيًا إلا أن ثورته باءت بالفشل فآثر التسحب والهروب إلى بلاد التتار وذلك لعدم حصوله على ما كان يطمع إليه من سلطة أو من تأييد نواب الشام فرضي لنفسه التسحب إلى بلاد الأعداء قائلا: " لا أكون في دولة حاكمها تركي"[٢] .

---

(١) الأبُلستين: مدينة مشهورة ببلاد الروم (يقصد تركية)، تقع شرق قيسارية، وكانت من مدن الثغور، وحاليًا تقع جنوب تركيا. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج١، ص٧٥. وانظر: غزوة شهاب أحمد، أحمد مولود أحمد: إمارة بني دلغادر وعلاقتها الخارجية في القرنين الثامن والتاسع الهجري، مجلة التراث العلمي، سامراء، العدد (٣٨)، ٢٠١٨م، ص٣٧٢، ص ١٩.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٥٣، ٥٤. ابن المقفع: تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢، ج٧، ص٣١٠.

ولا شك أنه تسحب واستقر بعيدا عن مقر السلطنة خوفا من العقاب الذي كان سنزله به السلطان. لكن المحير في الأمر أنه بالرغم من أنه تركيا لماذا يرفض العيش في دولة حاكمها تركي.

أما فترة حكم الناصر فرج بن برقوق فقد اتسمت بعدم الاستقرار السياسي والاضطراب الداخلي للدولة نتيجة صغر سن السلطان وميوله إلى اللهو والطرب، وقد أدى ذلك إلى طمع كبار الأمراء وصراعهم للوصول إلى عرش السلطنة المملوكية، مثال ذلك قيام بعض نواب الشام مثل يشبك[١]، وشيخ[٢]، ونوروز[٣]، بالخروج على السلطان

---

(١) يشبك بن أزدمر الظاهري برقوق، عمل خاصكيًا، وجعله الناصر أمير عشرة، ثم رأس نوبة النوب، ثم ولي نيابة حماة، ثم حلب، كان أميرًا جليلاً شجاعًا، قتل في٨١٧هـ/١٤١٤م. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠ ص٢٧٠.

(٢) الأمير شيخ: أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، ولد سنة ٧٧٢هـ/١٣٦٨م، قدم من الشام إلى القاهرة وعمره ١٢ عاما، سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، فاشتراه الملك الظاهر برقوق وهو إذ ذاك أتابك العساكر وأعتقه، فلما تسلطن، جعله خاصكيا ثم ساقيا، واختص به إلى الغاية، وتولى نيابة السلطنة بطرابلس سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، ثم وصلت به الأحداث حتى ولي السلطنة في ٨١٥هـ/١٤١٢م بعد عل الملك الناصر فرج، انتهت سلطنته في ٩ محرم ٨٢٤هـ/١٤٢١م. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٤، ص٨٨. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٣٦. المنهل الصافي، ج٦، ص٢٦٣، ٢٨٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣٠٨

(٣) الأمير سيف الدين نوروز الحافظي: نوروز بن عبدالله الظاهري، أصله من مماليك الظاهر برقوق ومن أعيان خاصكيته، ثم رقاه حتي جعله أمير مائة ومقدم ألف، ثم رأس النوبة، وبعد أن تسلطن الملك الناصر فرج صار هو المشار إليه في المملكة، تولى عددا من الوظائف منها نيابة السلطنة بطرابلس، كما كان له دور كبير في عزل الناصر فرج وتولي الخليفة المستعين بالله السلطنة، واستمر إلى أن قبض عليه وقتل سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م. انظر ابن تغري بردي: ←←←

الناصر فرج، وقيام الحروب بينهم، وتفصيل ذلك أنه في ليلة الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م علم الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩- ١٤١٢م) بخروج الأمير شيخ نائب السلطنة[١] بطرابلس[٢] عن طاعته، فخرج السلطان إليه واصطحب معه الخليفة المستعين بالله ومعه خزائنه وحريمه، وجعل بقلعة الجبل نائبًا لها الأمير كمشبغا الجمالي[٣]، وما إن علم الأمير

→→→

المنهل الصافي، ج١٢، ص٣٤-٣٩، رقم٢٦٠٦ . السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٠٤، رقم٨٧١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٦٥٠، ٦٥١.

(١) مصطلح كان يُطلق في العهد المملوكي على من ينوب عن السلطان في القاهرة أو في الحضرة السلطانية، ويحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويختم على التقاليد والتواقيع والمناشير، وغيرها من أعمال السلطان. حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٢٢١. محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر من(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٦٧. زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، ط١، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٦م، ص٥٢٤

(٢) طرابلس: طرابلس الشام في شمال لبنان، وهي مدينة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط عامرة كثيرة الخيرات والثمرات، لها سور منحوت من الصخر، وبساتين جليلة ورباطات كثيرة، وتتميز بكثرة منتجاتها الزراعية كالحمضيات والزيتون إضافة إلى منتجاتها الصناعية من الحرير والزيت والصابون. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥. شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، طبعة الأكاديمية الإمبراطورية،١٨٦٥م، ص٢٠٧.

(٣) كمشبغا الجمالي: كان من أكابر المماليك الظاهرية برقوق، تركي الجنس، تولى نيابة قلعة الجبل في الدولة الناصرية فرج، واستمر من جملة أمراء الطبلخانات في صدر الدولة الأشرفية برسباي، إلى أن أخرجه الملك الأشرف عن إقطاعه، فلزم داره إلى أن مات في ٨٣١هـ/١٤٢٧م، وهو في عمر الثمانين. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٥٠، ص١٥١.

شيخ بخروج السلطان الناصر لمحاربته أعلن صراحة العصيان وخروجه عن طاعة السلطان، لكن فور وصول السلطان فرج إلى دمشق بجيشه تسحب الأمير شيخ هربا من الحرب والمواجهة مع جيش السلطان، فما كان من السلطان إلا أن عزله من نيابة طرابلس وأسندها للأمير نوروز الحافظي ، غير أن ما فعله كان نكبة عليه إذ اتصل الأمير شيخ بالأمير نوروز وتحالفا معًا على الخروج عن طاعة السلطان، وقررا الاستيلاء على دمشق، وأخذا في إقطاع البلاد لأتباعهما والاستيلاء على مختلف الحصون والقلاع ببلاد الشام(١).

وفي أواخر عام ٨١٤هـ/١٤١٢م تجهز السلطان لمحاربتهما بعد أن حذفا اسمه من الخطبة بدمشق وواصل المسير صوبهما(٢)، لكن دخل الرعب في قلب الأميرين وقررا التسحب لأنهما كانا يخشيان من قوة جيش السلطان فرج " ولم يخطر لهم أن يقاتلوه خوفاً منه وعجزاً عنه"(٣)، لذلك حاولا عدم مواجهته وأخذا يتنقلان من مكان إلى أخر، مما دفع السلطان الناصر فرج إلى تتبعهما بجيشه وقواته من بلد لأخر حتى وصلا إلى اللجون(٤)، فتبعهم السلطان ووصلها يوم الاثنين ١٣ محرم ٨١٥هـ/١٤١٢م "وكان في حالة سكر لا يعقل"(٥)، كما بلغ جيشه قدرًا كبيرًا من

(١) المقريزي: السلوك، ج٦، ص٢٦٠، ٢٩٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٧٩٣.

(٢) المقريزي: الخطط المقريزية ، ج٣، ص١١٦، ٤٢١،١٧٣. السيوطي: حسن المحاضرة ، ج٢، ص٩٥.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٣، ص٥٠٥.

(٤) اللجون: بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده، وهي في الأصل كلمة لاتينية تعني الفرقة العسكرية، وهي إلى الشمال الشرقي من مدينة الكرك (الأردن حاليا) بينها وبين طبرية عشرون ميلا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٣، ١٤ .

(٥)ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٠.

التعب والإعياء مما أثر عليه تأثير لا يوصف من كثر التنقل والترحال، لكنه رغم ذلك أصر على محاربتهما حتى لا يتسحبا مرة أخرى بالرغم من أن بعض أمرائه حثه على التريث وعدم دخول المعركة إلا بعد استراحة قصيرة يستعيد فيها جيشه وجنده قوتهم، فلم يستمع لهم ونتج عن تهوره أنه لم تمض ساعات قليلة من بداية المعركة إلا ولحقت به الهزيمة وقتل العديد من أمرائه(١).

وحسمًا لذلك الصراع فقد قرر أمير المؤمنين الخليفة المستعين(٢) خلع الملك الناصر فرج وتولية شيخ نائبا على السلطنة بمصر، ونوروز نائبًا على الشام وذلك بعد أن صدرت فتوى شرعية في ٨١٥هـ/١٤١٢م بعزل السلطان فرج لخروجه عن الدين ووقوعه في المحرمات وإهدار دمه(٣).

وتجدر الإشارة إلى وجود سمة سبب أخر لهزيمة السلطان في هذه المعركة هو تسحب معظم أمرائه ومماليكه من المعركة وانضمامهم إلى قوات الأمراء المنشقين (شيخ ونوروز) نظرا لسوء معاملة السلطان فرج لهم (٤).

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٣٨. ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٣، ص٥٠٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٦، ص ٣١٩. ابن تغري بردي: النجوم ج١٣ ص٢٠١.

(٣)المقريزي: السلوك، ج٦، ص ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٥٠٧، ٥١٠، ٥١١. العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٥٩، ٢٦٠. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٣١١. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٨٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٨٢٠، ٨٢٣.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٣، ص٥٠٩. العيني: السيف المهند، ص٢٦٠. للمزيد عن معركة اللجون انظر: العيني: السيف المهند، ص٢٥٩ وما بعدها. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٠ – ١٤٦.

وقد يتسحب الثائر أو المتمرد نتيجة لخزلان رفاقه ومن يؤيدوه، وذلك ما حدث في يوم الاثنين الموافق ١٦ جمادى الأولى سنة ٨١٦هـ/ ١٣ أغسطس ١٤١٣م عندما أشيع بالقاهرة ركوب الأمير طوغان الحسنى[١] الدوادار على السلطان المؤيد شيخ ومعه عدة من الأمراء والمماليك السلطانية، وكان طوغان قد اتفق مع جماعة على ذلك، ولما كان الليل انتظر طوغان أن أحدا يأتيه ممن اتفق معه فلم يأته أحد حتى قرب الفجر وقد لبس السلاح وألبس مماليكه، فعند ذلك " قام وتسحب في مملوكين واختفى"[٢]، إلا أن السلطان ألح في البحث عنه حتى وجدوه يوم الجمعة بمدينة مصر الفسطاط فأخذ وحمل إلى القلعة وقيد وأرسل إلى الإسكندرية [٣].

وما حدث في ٨٢٤هـ/١٤٢١م، حينما خلع أحمد بن المؤيد من السلطنة وتولاها الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر الظاهري الجركسي[٤] متغلبًا عليها وهو بالشام، ووقع خلاف بين الأمراء الشامية بعضهم بعضًا، إذ قام الأتابك ألطنبغا

---

(١) طوغان الحسني، كان من دوادارية الناصر فرج ثم اتصل بخدمة الظاهر جقمق قبل سلطنته فلما استقر عمله أحد الدوادارية الصغار ثم ولاه نيابة قلعة حلب ثم عزله وولاه بعد مدة نيابة قلعة دمشق إلى أن مات بها في جمادى الأولى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٥-٢٩٦ رقم ١١٣٨.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٩.

(٣) نفسه.

(٤) ططر الظاهري: هو السلطان سيف الدين أبو الفتح ططر الظاهري، ولي السلطنة سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م كان أصله من صغار مماليك الظاهر برقوق وأعتقه، ولما صار ملكًا أخذ في تأليف القلوب. ولم ينعم بالملك إذ أدركته المنية في نفس عام سلطنته. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص ١٤٤- ص ١٤٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٧، ٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٧١، ٧٢.

القرمشي[١] ومن انضم إليه من الأمراء على الأمير جقمق نائب[٢] الشام ومن معه[٣]، فانهزم جقمق وتسحب هاربا إلى صرخد[٤] ومعه الأميران مقبل[٥] الدويدار [١]،

---

(١) الأتابكي ألطنبغا القرمشي: وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا إلى الشام وصار من جملة الأمير شيخ. وما برح يرقيه حتى ولي حجوبية الحجاب بحلب، ثم أميرًا كبيرًا، ثم أتابك العسكر في مصر، كان عاقلاً كارهًا للشر، مات بقلعة دمشق في ٨٢٤هـ/١٤٢١م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٩ رقم ١٠٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢١٥، ٢١٧. محمد عبد الغني الأشقر: أتابك العسكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥٨.

(٢) النائب: وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويُعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع، ويستخدم الجند من غير مشاورة السلطان، ويعين أرباب الوظائف الديوانية كالوزارة وكتابة السر وهكذا. ونواب نيابات الشام الذين يعد كلٌ في نيابته بمثابة سلطان مصغر. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م، ج٤، ص١٦-١٧.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٣٨. مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي، يؤرخ الكتاب من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٥٤هـ وحتى عهد الأشرف قايتباى ٨٧٧هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ص١٢٠.

(٤) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠١.

(٥) الأمير مقبل بن عبد الله الحسامي الرومي، ولي الدوادارية الكبرى في دولة المؤيد شيخ، أصله من مماليك بعض أمراء دمشق ، ثم تولى نيابة صفد سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤. وظل بها إلى أن توفي في ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م. انظر: ابن حجر: أنباء الغمر، ج٣، ص ٥٣٣ رقم ٢٨ . ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ١١، ص ٢٦١ رقم ٢٥٣٣ . السخاوي: الضوء اللامع ، ج١٠، ص ١٦٧، ١٦٨ ، رقم ٦٩٦. ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق:

←←←

وطوغان[٢] أمير آخور، فخرج إليهم السلطان طط بالعساكر من مصر للقضاء على هذه الفتنة، وبالرغم من أن ألطنبغا القرمشي ومن معه طلبوا من السلطان الأمان فور وصوله دمشق والدخول تحت طاعته، إلا أنه أمسك بهم وقتلهم[٣]، ثم توجه السلطان بعد ذلك إلى الأمراء المتسحبين الهاربين في صرخد، فقبض على جقمق وحُبس، ونفى طوغان إلى القدس بطالاً[٤].

واستمرارًا لمشاهد الصراع على السلطة تسرد لنا المصادر الصراع الذي صار بين جاني بك الصوفي [٥] أتابك العسكر والسلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-

---

←←←

عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٤، ص٣٤٣.

(١) الدويدار: دار لفظة فارسية يعني ممسك، وهو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، إضافة إلى وظيفته الأساسية في تبليغ الرسائل وعامة الأمور عن السلطان، وتقديم القصص والبريد إليه، وأخذ الخط السلطاني على المناشير والتواقيع والكتب، القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤،ص١٩ .

(٢) الأمير أخور طوغان بن عبد الله: ، أصله تركمانيًا، تنقل في الخدم حتى اتصل بالمؤيد شيخ، فصار أمير أخوره، ثم ولاه حجوبية دمشق، ثم نيابة صفد، وجعله أمير مائة مقدم ألف وأمير أخور كبير، فلما مات المؤيد وعصى جقمق، انضم طوغان إلى جقمق، ثم قُبض عليهما، ونُفي طوغان، ومات مقتولاً في ٨٢٨هـ/١٤٢٤م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١١.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٧، ٣٨. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٥٠٤، ٥٠٥.

(٤) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك. تحقيق: محمد محمد أمين – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٤٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٣.

(٥) جاني بك الصوفي: ويعرف في بعض المصادر بـ جانبك بن عبد الله الصوفي الظاهري، الأمير سيف الدين، أتابك العساكر بالديار المصرية، وهو من مماليك الظاهر برقوق، صار أمير مائة ومقدم ألف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق، ثم استقر رأس نوبة النوب في دولة الملك المؤيد شيخ، ثم نقله إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح إلى أن قبض عليه وحبسه بثغر

←←←

٨٤١هـ/١٤٢٢- ١٤٣٧م) وذلك عندما أوصى الملك الظاهر ططر أن يكون جاني بك مدبر مملكة ولده الملك الصالح محمد، فسكن جانبك بباب السلسلة من الإسطبل السلطاني وبعد مرور عدة أيام تغلب عليه الأميران برسباي الدقماقي الدوادار وطرباى حاجب الحجاب، وكثر الكلام بينهم حتى ركب الأتابك جانبك الصوفي في يوم عيد الأضحى بآلة الحرب، ولبس الأمراء الذين بقلعة الجبل، ولم تقع حرب بين الفريقين، بل تراموا بالسهام ساعة، ثم خمدت الفتنة، وتدخلت جماعة من الأمراء بينهم في الصلح، فنزل الأتابك من باب السلسلة إلى بيت الأمير بيبغا المظفرى أمير سلاح لعمل المصالحة، ومعه الأمير يشبك الحكمى أمير آخور، فلما صارا في وسط حوش بين بيبغا قبض عليهما، وقيدا، وحملا إلى ثغر الإسكندرية، فحبسا بها في شهر ذي الحجة سنة ٨٢٤هـ/ديسمبر ١٤١٢م[١]، وبدخوله السجن تحركت عنده مشاعر الخوف على مصيره فقرر الهروب، وبالفعل تسحب من محبسه في سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م، ولما سمع الملك الأشرف برسباي بتسحبه من الحبس قلق لذلك وأمر بالبحث عنه في كل مكان، وقام بالقبض على جماعة من الأمراء، كما عاقب جماعة آخرين من خاصكيته[٢]. وفي سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م ظهر جانبك وذهب إلى بلاد الشرق عند ابن دلغادر نائب أبلستين للاحتماء به، وأرسل السلطان برسباي في

→→→

الإسكندرية في ١٤ شهر رجب سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م واستمر محبوساً حتى سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م حتى أفرج عنه الملك المؤيد، وحظى مرة أخرى بالإقطاعات والمناصب وأنعم عليه فتولى منصب أتابك العسكر سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، حتى وصل لتقلد مهمة الوصاية على العرش على الصالح محمد بن الظاهر ططر، وقتل سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م. انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٢٢٤، رقم ٨١٩. الدليل الشافي، ج١، ص٢٣٦. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٤٣٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٥٧، رقم ٢٣٠

(١) المقريزي: السلوك، ج٦، ص٤١١. ابن شاهين: نيل الأمل ، ج٣، ص٣٠٤

(٢) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٨٠.

طلبه ولكن دون جدوى[١]، ودارت بين جانبك والسلطان برسباي حروب عديدة وأنفق السلطان على حربه أموال كثيره من أجل الحصول عليه ولكن انتهى الأمر إلى موته من قبل أن يتمكن السلطان منه وحملت رأسه ويده إلى القاهرة وطيف بها على رمح في شوارع القاهرة وذلك في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م[٢].

وكذلك خرج الأمير جانم[٣] نائب الشام عن طاعة السلطان خشقدم وعصاه في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، فلما علم السلطان بذلك أمر نائب القلعة الأمير سودون اليشبكي[٤] بأن يتصدى له، ويقبض عليه، ووقع بينهم اشتباك فرمى عليه نائب القلعة النشاب[٥]، وهنا أحس الأمير جانم بالخوف من سوء عاقبة عصيانه فتسحب

(١) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٩٠. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٤، ص١١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٦٠، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٧٣.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٩٠. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٢٢٨، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٨٨، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٤٣٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٥٧

(٣) جانم: سيف الدين بن عبد الله الأشرفي، نائب الشام، كان رجلاً للقصر أقرب، فيه حدة مزاج وسرعة حركة، مع تدين ومحبة للفقهاء، قتل في ٨٦٧هـ/١٤٦٣م ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦ ص٣١٨.

(٤) سودون اليشبُكي التركماني، أحد مقدَّمين الألوف بدمشق، المعروف بقَنْدُورَة. كان من مماليك يشبُك الجَكمي الأمير اخور، وهو خشداش جانبك اليشبُكي الوالي، ولما مات سيّده نزل في ديوان الجُند السلطاني، ودام على ذلك مدّة، ثم انتمى للجمال ابن كاتب جَكَم بواسطة جانبك الوالي خُشداشه المذكور، فاعتنى به الجمال حتى وُلّي بعض قلاع البلاد الشامية، ثم تنقّل في عدّة ولايات في تلك البلاد غالبها أو كلها ببذل المال، وآل أمره أن صار في دولة الظاهر خُشقَدَم من جملة مقدَّمين الألوف بدمشق، وخرج أميرًا على الحاج بالمحمل الشامي، فلما حج وعاد وزار المدينة الشريفة ثانيًا، وخرج متوجّهًا للشام. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٧، رقم ١٠٩٠، ابن شاهين: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ج٢، ص٢٢٥ .

(٥) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص ٢٦٦. ابن إياس: بدائع الزهور ج٢ ص٣٩٠.

هاربًا، لكن لم يمهله القدر فقد لحقه أحد الجند وضربه ضربة أفضت روحه إلى بارئها[١].

(ب)- الخروج والعصيان طمعا في الأموال:

وقد يُقتل المتسحب جزاء خيانته السلطان، وذلك كما حدث في سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م حينما تسحب الأمير منطوق[٢] نائب قلعة[٣] دمشق، وذلك عندما قبض السلطان فرج بن برقوق على الأميرين شيخ ويشبك الشعباني[٤] بعد تمردهما عليه أمر بحبسهما في قلعة دمشق وكلف بهما نائب القلعة الأمير منطوق وذلك لثقة السلطان به [٥]، فلما حُبسا بالقلعة خدعاه، ووعداه، وأوسعا له في الأماني، وبإغداق

(١) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى ، ص٦٠. ويحكي ابن تغري بردي: أن هذه الفتنة انتهت سريعا بسبب سودون اليشبكي الذي قضى على فتنة العصيان بسرعة إخباره السلطان، وسرعة اتخاذه الإجراءات حيال تلك الفتنة لإخمادها، والجدير بالذكر أن سودون قيدروه التركماني اليشبكي هذا قد توفى في نفس العام، إذ كانت وفاته في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م. النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٦٧.

(٢) سيف الدين منطوق نائب قلعة دمشق، قتل في ٨١٠هـ/١٤٠٧م بأمر من الملك الناصر فرج، لأنه تواطأ مع عدويه شيخ ويشبك وأخرجهما من الحبس. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،، ج١٣، ص ١٧٠. ويسميه العيني منتوق. السيف المهند، ص٢٥١.

(٣) نائب القلعة: هو الذي يشرف على القلعة، وكان لا يلي نيابة القلعة إلا أمير مائة مقدم ألف، حتى تنازل السلاطين عن ذلك فأصبح يليها أمير عشرة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٧٤.

(٤) يشبك الشعباني: يشبك بن عبد الله الأتابكي الشعباني الظاهري برقوق، ولي الخازندارية في أيام أستاذه برقوق، ثم ولي الدوادارية في دولة الناصر فرج، ثم صار أتابك العساكر، قتله نوروز الحافظي ببعلبك في ٨١٠هـ/١٤٠٧م. ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص٧٨٤.

(٥) مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي، ص٩٥.

المال عليه إن أفلتهما من الحبس[١]، فانخدع بكلامهما وعمل على إخراجهما وتسحب معهما بطريقة ذكية ؛ بأن تحيّل على من عنده من المماليك، وأوهمهم بأن السلطان أمر بقتل الأميرين، فصدقوه، فأخرجهما على أن يقتلهما، وفر بهما إلى مدينة دمشق [٢]، فلما علم السلطان بالأمر أرسل ورائهم ليدركهم، فلم يدرك غير منطوق لثقل بدنه[٣]، فقبض عليه، ثم قُتل، وقطعت رأسه، وطيف بها في دمشق، وعلقت على سور قلعتها، أما شيخ ويشبك فقد فرا إلى حلب[٤].

هذا وقد يتعدى نائب القلعة حدوده، ويتمرد على السلطان، ويطمع في الأموال، وذلك كما حدث في ٨٥٧هـ/١٤٥٤م عندما طمع ابن شهري[٥] نائب قلعة دروكي فاستولى على مال السلطان الأشرف إينال ثم عصى، فقاتله أهل دروكي حتى هرب وتسحب منها، وتسلمها نائب حلب الأمير قانباي الحمزاوي[٦] الذي أرسل إلى

(١)ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢ ص ١٢١. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٤٠.

(٢) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م ج٢ ص ٢٠٣.

(٣) ابن حجي: تاريخه، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٨٠٢. العيني: السيف المهند ص ٢٥١. ابن تغري بردي: النجوم ج١٣ ص ١٧٠.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر ج٦ ص ٦٠.

(٥) ابن شهري: تولى نيابة قلعة دروكي في عهد الظاهر برقوق، فلما كانت سلطنة الملك المنصور حاجي وتولى يلبغا الناصري أتابك الديار المصرية، فقد خلع يلبغا على ابن شهري باستقراره على قلعة دوركي في ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١ ص٣٢٩.

(٦) قانباي الحمزاوي: من مماليك سودون الحمزاوي الظاهري، تولى حلب مرتين، ثم انتقل إلى نيابة دمشق للأشرف ينال، وتوفى بها في ٨٦٢هـ/١٤٥٨م. ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص٥٢٩.

السلطان يبشره بأخذها من ابن شهري[١].

❋ ثالثًا: التسحب خوفًا من نقمة الحكام وسخطهم:

وبطبيعة الحال كان الخوف من بطش السلطان وسخطه سببا لتسحب البعض بدلا من مواجهة السلطان التي قد تؤدي إلى عواقب وخيمة، مثال ذلك ما حدث في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م عندما وصل الخبر للأمير منطاش بخلاص الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك واستيلائه على مدينتها وانضمام الكثير من الأمراء والأهالي إليه، الأمر الذي أصاب منطاش بحالة من الفزع، وداخله الخوف لما قد يفعله به برقوق إذا عاد إلى حكمه، فخاف من بطشه وتسحب خوفا على نفسه[٢]، لكن لم يفده التسحب فقد قبض عليه في النهاية وقد بلغ به الخوف من بطش برقوق وسخطه أن حاول منطاش أن يقتل نفسه أثناء القبض عليه فضرب نفسه بسكين كان معه في فخده وفي كتفه لكن محاولته باءت بالفشل لأنها طعنات غير قاتلة، وفي النهاية تم ما كان يخاف منه وقتل شر قتلة فزهقت روحه وقطعت رأسه[٣].

وأيضًا هناك من استسهل التسحب خوفًا من بطش سلطانه، وحدث ذلك أثناء محاولات الظاهر برقوق للعودة إلى الحُكم حاصر مدينة دمشق في ذي القعدة من سنة ٧٩١هـ/ أكتوبر ١٣٨٩م، وانضم له نائب طرابلس، وقد حاول

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط١، عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ج٢ ص ١٩٩.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٣٩٨. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٤٩. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٩١.

(٣) ابن دقماق: النفحة المسكية في الدولة التركية. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص٢٦٧، ٢٦٨.

أتابك[١] عسكر الشام محمد بن بيدمر[٢] أن يتصدى له، لكنه انهزم أمامه مرتين، فاضطر محمد بن بيدمر للتسحب إلى مصر ومعه المماليك المنهزمين أمام الظاهر برقوق، خوفًا من بطشه بهم[٣]، وعندما نجح الظاهر برقوق في استعادة الحكم والإطاحة بمنطاش، وأصبح الملك المنصور والخليفة والقضاة في قبضته، جاءه المماليك المخالفين له طائعين يطلبون الأمان، ومن هؤلاء محمد بن بيدمر، الذي جاءه في ثاني جمادى الآخرة سنة ٧٩٢هـ/١٧ مايو ١٣٩٠م بصحبه مملوك نائب الشام، ومملوك الأمير أيتمش حتى يشفعان له لدى الظاهر برقوق، فوافق السلطان على شفاعتهما فيه، وعفى عنه[٤].

---

(١)الأتابكية: الأتابك: لفظ يتألف من كلمتين تركيتين، الأتا، بمعنى: أب، والشيخ المحترم لسنه، وبك، بمعنى: أمير، أي: كبير الأمراء، وهي من ألقاب أمير الجيوش، ومن في معناه كالنائب الكافل، وهو يُطلق على القائد العام للجيش المملوكي. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٢٢: ١٢٥، زين العابدين: معجم الألفاظ، ص١٥، ١٦.

(٢) هو محمد بن بيدمر الخوارزمي كان والده نائب دمشق أيام الظاهر برقوق، وعين محمد أتابك لدمشق لدى منطاش عندما تغلب على الظاهر برقوق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وقتل سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م مع جملة من قُتل من أمراء الطبلخانات الذين كانوا من حزب منطاش. انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، منشورات كلية العلوم والآداب – الجامعة الامريكية، بيروت، د.ت ، ج٩، ص٨١. المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٥٣. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج٣، ص٣٦٤.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٦٠، ٢٦٢. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٥٢-١٥٥، ١٥٧-١٥٨.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٧٦، ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م ، ج٣، ص٣٤٨. ٢٩٠. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٨٦، ٢٠٩. ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٢٩٠.

ومن الولاة من كان التسحب هو السبيل الوحيد أمامهم كالأمير حسين بن الكوراني[١] والي القاهرة فقد كان الأمير حسين في أيام الظاهر برقوق، فلما تغلب منطاش ويلبغا الناصري على الظاهر برقوق خلع عليه باستمراره في الولاية، وألزمه يلبغا الناصري بتتبع المماليك الظاهرية والسلطان، وعندما حدثت الفتنة بين يلبغا الناصري ومنطاش، ورأى حسين بن الكوراني أن الغلبة لمنطاش، خاف على نفسه فتسحب واختفى، وبعد أن استقرت أمور الدولة وسيطر منطاش عليها، أعاد ابن الكوراني إلى ولاية القاهرة مرة أخرى، وذلك بعد أن استغاثت الناس لدى منطاش لعودته، وأمره منطاش أيضًا بتتبع المماليك الظاهرية، فأخذ في تتبعهم والقبض عليهم، ولم يوفر جهده لإيصال الأذى إلى برقوق وحاشيته، كما أمر بالنداء على المماليك الظاهرية[٢]، وأن من يحضر مملوكًا منهم فله ألف درهم[٣]، غير أن ابن الكوراني لم يهنأ بمكانته هذه، فكان كما يقال "عند صفو الليالي يحدث الكدر"، حيث زالت الدولة المنطاشية كأنها لم تكن، واستعاد الظاهر برقوق السلطنة، وخرج المماليك الظاهرية من

---

(١) حسين بن الكوراني، وبعض المصادر تذكره حسام الدين وهو أحد الأمراء ووالي القاهرة، كان ظالماً جباراً ، قليل الخير، كثير الشر، غير أنه كان حاذقاً ماهراً في وظيفته ومباشرته ، قتل في عاشر شعبان سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م. انظر: المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٨١، ٣٠٨، ابن قاضي شهبة: تاريخه ، ج٣، ص٤٠٠ . ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص١٦٣،١٦٢، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧٧. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٩٤.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج١١، ص٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٦٦. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٢٠، ١٣١.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص١٦٢. لم يكتف ابن الكوراني بالإساءة إلى أتباع الظاهر برقوق فقط، بل قام بسب أخواته وبالغ في إهانتهن، وقام بسحبهن حاسرات في الشوارع مع الحراس. انظر: المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٧٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٥: ٢٦٦. المنهل الصافي، ج٥، ص١٦٣.

محبسهم وقويت شوكتهم، فخاف ابن الكوراني على نفسه من بطش الظاهر برقوق فتسحب واختفى للمرة الثانية، وأخذ الأمير بطا الطولوتمري[١] دويدار السلطان بتجميع المماليك الظاهرية حوله بعد خروجه من محبسه، وأصبح له الأمر والنهي وملك الديار المصرية، وسلم القلعة للأمير سودون الفخري[٢] وأصبح نائب السلطنة، ونادى بالأمان، وشرع في القبض على المنطاشية، والإفراج عن المماليك الظاهرية[٣]، ولما استقر حال الأمير بطا طلب ابن الكوراني، فأُحضر إليه في صفر سنة ٧٩٢هـ/ فبراير ١٣٩٠م وطلع إلى الإصطبل، فلما رآه المماليك الظاهرية أرادوا قتله، لسوء سيرته معهم وقبح ما فعله فيهم، فشفع فيه الأمير سودون الفخري النائب، وقبل الأمير بطا شفاعته وعفى عنه وخلع عليه، وأعاده إلى

---

(١) الأمير بطا: هو بطا بن عبد الله الطولوتمري الظاهري دوادار الظاهر برقوق ثم نائب دمشق، وليها من قبل أستاذه في ذي القعدة سنة ٧٩٣هـ إلى أن توفي سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٣٧٥. الدليل الشافي، ج١، ص١٩٢. ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٣٥١.

(٢) سودون الفخري: هو سودون بن عبد الله الشيخوني، نائب السلطنة بمصر، أصله من مماليك الأمير شيخو العمري كان متديّنا، محبّا للعلم والعلماء، والظاهر برقوق يعظّمه جدا ويحترمه ويستحي منه، حتى إنه لم يتظاهر بالشرب إلاّ بعد موته، وقد مات بطالاً في جمادي الأولى سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج١، ص٥١٧ . ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص١٠٤. الدليل الشافي، ج١، ص٣٢٨. السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٣٢٣.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج١١، ص٣٦٦، ٣٧٤. المنهل الصافي، ج٣، ص٣٧٨: ٣٧٩. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٩٢.

ولاية القاهرة [١].

ولا شك أن نداء الأمان الذي أطلقه نائب السلطنة الأمير سودون الفخري كان وراء ظهور ابن الكوراني بعد اختفائه.

وعندما تولى السلطان الناصر فرج كان كثير السكر، شديد التهور، سفاكا للدماء، قتل العديد من مماليك أبيه السلطان الظاهر برقوق مما جعل البقية يتسحبون منه ويلوذوا بالفرار ويلتجئون إلى عدويه الأمير شيخ ونوروز خوفًا من سخطه وغضبه[٢].

كما أن هناك بعض المصادر تصف ما فعله الأمير شيخ مع الناصر فرج ليس خروجا على طاعته ولكت الخوف منه واتقاء شره ومما يدلل ذلك أنه عندما تسحب شيخ إلى صرخد وما إن علم بقدوم السلطان الناصر فرج إليه تغير لونه واختلط في كلامه، وقال لأحد خواصه " والله ما أريد السلطنة وإنما غالب ما أفعله خوفا من

---

(١) ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٩٧. لاحقًا قبض عليه الأمير بطا، فتناتش المماليك الظاهرية ملابسه ونزعوها عنه، وقاموا بضربه ضربًا مبرحًا، وألزمه بمائة ألف درهم فضة، ومائة فرس، ومائة لبس حربي، ولكن سرعان ما قام الأمير بطا بالإفراج عنه وذلك يوم الأحد ثاني عشر صفر، بسبب رسالة من الظاهر برقوق يأمره فيها بطلبٍ ما، اعتقادًا منه أنه لازال في ولايته، حينها أطلق بطا سراحه، ولما وصل الظاهر برقوق إلى الديار المصرية خلع عليه أولاً، ثم قبض عليه وأجرى عليه العقوبة حتى هلك في شعبان سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م وذلك بعدما علم بأفعاله مع حرمه، والمماليك الظاهرية، وإن كان قد تأخر عليه في هذه العقوبة فكان ذلك حلمًا منه. المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٨١، ٢٨٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧٧. المنهل الصافي، ج٥، ص١٦٣. ابن الفرات: تاريخه، ج٩، ص١٩٤، ١٩٧، ١٩٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٠.

شره"، وأنا دخلت في طاعته قبل سابق وحاربت معه أعداءه وأخافه أكثر من أستاذي الملك الظاهر برقوق غير أنه لا يريد إلا روحي[١].

ولم يقتصر الخوف من نكبة السلطان على الأمراء فقط بل وصل الأمر للقضاة[٢] أيضًا وبالرغم من عظم منصبه إلا أن بعض متوليه تسحب وهرب خوفا من نكبة السلطان كالقاضي محمد بن علي السبكي[٣] الذي يحكي عنه ابن حجر العسقلاني

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٨٤.

(٢) القضاء: لغة بمعنى الحكم، وشرعًا هو فصل الخصومات وقطع المنازعات على وجه الخصوص، والقضاء يُعد من أعلى مراتب الحكم في الدولة، فهو من الوظائف الرئيسة التي لا يستغنى عنها المجتمع وهو أحد الجوانب المهمة في الحضارة الإسلامية وفي حياة المسلمين على الدوام، حيث يقوم بالفصل بين الناس في أمورهم على هدي القرآن والسنة النبوية، ودماء المسلمين وأموالهم بيد القضاة. الطوسي: سير الملوك أو سياسة نامة، ترجمة يوسف بكار، عمان، د.ت، ص٧٩، عبد الرحمن علي الحجي: جوانب من الحضارة الإسلامية، ط١، مكتبة الصحوة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٥٣، والقضاء هو فرض كفاية، فإن قام به من يصلح سقط عن الباقين. انظر الأسيوطي: جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، ط٢، الاسكندرية، د.ت، ج٢، ص٣٥٢، ولا يجوز تولية القضاء إلا لمن كملت فيه الشروط من الذكورية والبلوغ والعقل والحرية والإسلام والعدالة. انظر أبي يعلي: الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٠. ابن فرحون، إبراهيم بن علي: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، (د، ط)، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص١٨. علي عبد القادر: " الفقه الإسلامي القضاء والحسبة مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية "، المؤسسة العربية، (د، ط)، (١٩٨٦م)، ص٧٠.

(٣) هو محمد بن علي بن أبي البركات محمد بن مالك بن أنس بن عبد الملك التقي السبكي، ولد سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م وتربى على حفظ القران فكان من أهل العلم، تعانى التوقيع وتدرب فيه إلا أنه عرض له في سمعه ثقل فاحش فتعطل منه وتأخر به عن كثير من الأشغال. انظر ترجمته في السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٠٧.

أنه توفى سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م من رعب أصابه بسبب مال طلبه منه السلطان الناصر فرج على سبيل القهر فتسحب هاربًا واختفى عند الشيخ إبراهيم بن أبي بكر الموصلي " فمات مختفيا من الملك الناصر فرج" [١].

كما تسحب الوزير[٢] فخر الدين بن أبي الفرج إلى بغداد سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م لأمر بلغه من السلطان المؤيد شيخ فخاف منه على نفسه، وظل مختفيا هناك حتى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م أرسل ابن أبي الفرج كتابًا يفصح فيه عن مختبئه بأنه يقيم بالمستنصرية في بغداد وأنه هرب خوفًا على نفسه ويسأل العفو والأمان فأجيب بما طيب خاطره[٣].

---

(١) إنباء الغمر، ج٢، ص٣٧٢.

(٢) الوزارة: الوزارة لغة: من الوزر، وهو الحمل الثقيل، لأنه يتحمل عن الملك أثقاله ويعينه برأيه فالوزير هو عون علي كل الأمور، وشريك في التدبير، وظهير في السياسة، وملجأ عند المنازلة، فالوزارة هي وظيفة قديمة كانت للملوك من قبل الإسلام، واستمرت حتي بعد ظهور الإسلام، ولم تكن الوزارة في صدر الإسلام إلا للخلفاء دون الأمراء إلى أن تولاها الأمراء وأصبحت أجل الوظائف وأرفعها رتبة. وواحدة من أهم النظم السياسية الرئيسة في الإسلام؛ لأنها ولاية عامة تقوم علي أمور الأمة وترعى شئونها في الداخل والخارج. الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٣٣. القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ص٢٨. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٩٣. محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٠. محمد الزحيلي: الوزارة في الإسلام(تاريخها وأحكامها)، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧، ص١٠-١١.

(٣) لم يوضح ابن حجر ما هو الأمر الذي خاف منه وقرر التسحب بدلا من مواجهة السلطان. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣٧، ٥٢. محمد السيد فياض: ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي، ص٢١١.

وكذلك تسحب صدر الدين أحمد بن العجمي[١] المحتسب[٢] سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م خوفا من بطش السلطان المؤيد شيخ، فنودي بتهديد من أخفاه عنده، وعندما أشيع خبر موته أرسل ابن العجمي كتابا إلى أهله يطمئنهم فيه على نفسه ويذكر لهم فيه أنه ما فعل ذلك إلا خوفا على نفسه بعدما أصدر السلطان أمرًا بعزله عن حسبة القاهرة ونفيه إلى القدس بطالا[٣]

وفي بداية محرم سنة ٨٢٤هـ/يناير ١٤٢١م تسحب مجموعة من الأمراء إلى بلاد الشام منهم الأمير مقبل الدويدار، والأمير أسندمر النوري أمير طبلخاناة وكان معهم بعض أمراء العشرة كالأمير مبارك شاه والأمير جلبان والأمير كمشبغا الحمزاوي والأمير يلخجا الساقي، وتبعهم من تأخر عنهم وكان قد اتفق معهم على الهروب ، " خوفاً على أنفسهم من الحبس"[٤]، وسبب خوفهم؛ أنه عندما توفى السلطان المؤيد شيخ يوم الاثنين ٨ من محرم سنة ٨٢٤هـ/١٢ يناير ١٤٢١م، وعقدت السلطنة لابنه

---

(١) صدر الدين أحمد بن محمود بن محمد بن القاضي جمال الدين محمود القيصري العجمي، ولد سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م كان بارعا في الفقه والأصول، درس وأفتى وتولى عدة مناصب، وتقلد منصب محتسب القاهرة، كما كان ناظرا للجوالي والجيش ومشيخة الشيخونية، وتوفي سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٢١٢، ٢١٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) الْحِسْبَة: في اللغة اسم من الاحتساب بمعنى التدبير، فيقال فلان حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٣١١. وفي الشرع: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله. انظر: ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، ص٦.

(٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٤٧١.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣ ، ص ٢٣٨.

أحمد[١]، بادر الأمير ططر بالقبض على الأمير قجقار القردمى[٢] فقتله لأنه أشيع عنه أنه كان يريد الخروج على السلطان المؤيد قبل وفاته [٣]، فلما قتل ارتجت القاهرة وخاف الأمراء على أنفسهم من الأمير ططر فلجأوا إلى التسحب حفاظا على أرواحهم[٤]، ثم انضم الأمير مقبل وهو بالشام إلى الأمراء الخارجين عن الطاعة بدمشق[٥]، وفي يوم الاثنين الموافق ٢ جمادى الأولى من نفس السنة انكسر الأمير جقمق وفر هو والأمير مقبل الدويدار وطوغان أمير آخور إلى صرخد فتحصنوا بها[٦].

ويبلغ الحال بأحدهم ممن يعمل بوظيفة رأس نوبة النوب[٧] من شدة خوفه على نفسه أن يترك وظيفته ويتسحب في الحال وذلك ما وصل إليه الأمير سنطباي قرا

---

(١) السلطان أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ، تسلطن بعد موت أبيه في ٨٢٤هـ/١٤٢١م وعمره آنذاك سنة وثمانية أشهر، فغلب على الملك الأمير ططر في نفس العام. ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص ١٤٠- ١٤١.

(٢) قجقار القردمي: هو سيف الدين قجقار بن عبد الله القردمي أمير سلاح، تولى نيابة حلب، توفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٣١م. ابن تغري بردي: المنهل، ج٢، ص ٤٦٩.

(٣) مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي ، ص ١١٦- ص١١٧. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص ٤٩٤.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣ ، ص ٢٣٨.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣ ، ص ٢٤٣.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣ ، ص ٢٤٤.

(٧) رأس نوبة النوبه: وظيفة يقوم أصحابها بالحكم علي المماليك السلطانية والأخذ علي أيديهم، وقد جرت العادة ان يكونوا أربعة أمراء، واحد منهم مقدم الألوف وثلاثة طبلخاناه، القلقشندي: صبح الأعشي،ج٤، ص١٨،سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي ،ص٤١٨ .

الظاهري [١] رأس نوبة في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م فقد تسحب واختفى بالقاهرة لخوفه على نفسه من غضب السلطان المؤيد أحمد عليه لأنه قدم من الشام بغير إذنه، وكان قد وصل إلى سمعه ما فعله السلطان بالأمير تمراز الأشرفي[٢] الدوادار الثاني حينما فعل نفس الشيء وغضبه منه ونفيه إلى الشام من حيث جاء[٣]، فخاف سنطباي من غضب السلطان فتسحب واختفى مدة مع محاولة من خشداشيته للتشفع له، إلا أن السلطان امتنع من قبول الشفاعة فيه لغضبه الشديد منه، وأمر بنفيه أيضا إلى الشام من حيث جاء [٤].

وقد يلجأ بعضهم إلى التسحب خوفا من الحاكم واتقاء شره لا سيما وأنه قد لجأ إلى طرق أخرى كالشفاعة ولكنها لم تؤت ثمارها مع هذا الحاكم فيهديه عقله إلى

---

(١) سنطباي قرا: الظاهري جقمق، صار رأس نوبة الجمدارية في أيام جقمق ثم أخرج بعده إلى البلاد الشامية وقدم منها في الأيام المؤيدية مختفيا، فلما علم المؤيد أحمد به أعاده إليها فلم تطل مدته ثم كان ممن قدم وتأمر عشرة وصار من رءوس النوب إلى أن مات قتيلا على يد عرب الطاعة في ٨٦٦هـ/١٤٦١م. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٢٧٢، ٣١٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٢-٢٧٣ رقم ١٠٣٨. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص١٠٧.

(٢) تمراز الأشرفي: تولى نيابة قلعة حلب بعد أن سعى فيها ببذل المال، قيل عنه: "لولا إنه ولي نيابة قلعة حلب ما ذكرته مع الأمراء والأعيان، وكان لا يصلح للسيف ولا الضيف". ابن الصيرفي: أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠م، ص١٦٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٢٢٨، ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص١٠٦.

(٤) تاج الملوك الحلبي، جلال الدين النوري: تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفا، وهو ضمن كتاب منتخبات من حوادث الدهور لابن تغري بردي. حرره: وليم بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠م، ص٧٤٠، ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٢٢٨، ابن شاهين: الروض الباسم ، ج٢، ص٥٤.

التسحب وذلك مثلما حدث في عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م عندما تغير خاطر السلطان الظاهر خشقدم على الناصري محمد بن عبد الله ابن طغاى – وكان من خواص السلطان– ورسم بمصادرته على عشرة آلاف دينار وسلمه لنقيب الجيش[١] ليستخلص منه الأموال فترامى الأمير الناصري على الأمراء ليشفعوا فيه لدى السلطان ليخفف عنه ما قرر عليه، فقبل السلطان شفاعتهم في بداية الأمر وخفف ما قرر عليه من أموال حتى صارت ستة آلاف دينار فرضي بذلك لكن سرعان ما حنق عليه السلطان مرة أخرى، ورفض الشفاعة وصمم على أخذ العشرة الاف ورسم بنفيه الى حماه، فتسحب ابن طغاي من القاهرة، وتحيل على السلطان بحيلة حيث أشاع أنه قتل، وبعدها عاد الى القاهرة وظل مختفيا حتى توفى الظاهر خشقدم ثم ظهر بعد ذلك[٢].

ونلاحظ هنا أن التسحب كان أخر الحلول التي فكر فيها ابن طغاي كحل لمشكلته، وقد نجحت معه في تفادى العقوبة الواقعة عليه من السلطان.

وتسحب تغري بردي الاستادار واختفى عن الأنظار في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م لتغير خاطر السلطان عليه، فلما طال اختفاؤه أخلع السلطان على الأمير آقبردي الدوادار[٣] وقرر في الاستادارية عوضًا عن تغري بردي مضافا لما بيده من الدوادارية

---

(١) نقيب الجيش: هو الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم . انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١ . سعيد عاشور: العصر المماليكي ، ص٤٨٢.

(٢) السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص ٧٧٢. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص ٢٣٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٣٨.

(٣) أقبردي الدوادار: الأشرفي قايتباي، كان خاصكيًا، ثم ترقى لإمرة عشرة، ثم استقر في الدوادارية الكبرى، فصار إليه الحل والربط، وفي ٩٠٤هـ/١٤٩٨م لما استولى أقبردي على حلب، وعصى على السلطان قانصوه الأشرفي، أخرج إليه جيشًا لمحاربته، فهُزم، ونفي أتباعه، وكذلك عقب وفاة أقبردي بحلب، أخرج السلطان من كان من أتباعه إلى القدس والشام. السخاوي: الضوء

←←←

الكبرى[١].

وكذلك تسحب أحد من يتعاني من وظيفة أمير أخور والتي يقوم صاحبها بالإشراف على إسطبل السلطان أو الأمير، ورعاية ما فيه من خيل وحيوانات[٢] فقد دفعته بعض الظروف إلى الإنسحاب خوفًا من عقوبة السلطان لهم وذلك مثلما حدث في سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م وقعت فتنة بين المماليك الجلبان وخاصة بين جماعة الأمير آخور قانصوه الأشرفي خمسمائة [٣]، وبين مماليك أقبردي الدوادار، إذ انتهز مماليك أقبردي غياب قانصوه خمسمائة في أمر أرسله فيه السلطان في شوال يوم عيد الفطر، ولم يحضر الطلوع إلى القلعة، فتوجهوا إلى داره ونهبوها، وبعدما رجع قانصوه علم بما حدث فأسرّ العداوة لأقبردي الدوادار، ولبس لامة الحرب هو ومن معه من المماليك وتوجهوا إلى القلعة، فلما بلغ السلطان ذلك نادى في العسكر بأن كل من كان طائعا لله وللسلطان يطلع إلى الرملة ويقف تحت الصنجق السلطاني،

→→→

اللامع، ج٢، ص٣١٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٠٨، ٤٢٢، ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م، م٢، ص٨٩.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٩٣.

(٢) وكان يتولها أحد مقدمي الألوف، ساكناً بإصطبل السلطان وكان المسئول عن التحدث علي إصطبل السلطان وخيوله ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناة وعدد من أمراء العشرات والجند. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨ ،١٩ .

(٣) قانصوه خمسمائة: الأشرفي قايتباي، ترقى إلى أن صار دوادارًا ثانيًا، ثم أمير آخور في سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م، كان صهر السلطان الظاهر جقمق في ابنته وتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٩. البصروي: تاريخه، تحقيق: أكرم حسن العلبي، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٠٤. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٩٤، ٣٠٩.

فلما سمع مَن كانوا مع قانصوه ذلك " صاروا في الحال يتسحبون من هناك شيئًا فشيئًا ويطلعون إلى الرملة "[١]، فلما رأى قانصوه ذلك تسحب وهرب أيضًا مع من تبقى من أنصاره، فلما تم القبض عليهم تم نفيهم إلى بلاد الشام، أما هو فقد " اختفى من حيث لا يعلم له خبر"[٢].

❋ رابعًا: الجبن والخوف وعدم الثبات أمام الأعداء.

وقد يكون التسحب نتيجة لجبن الشخص وخوفه وعدم ثباته أمام الأخطار بدلا من المواجهة والتصدي، وذلك مثلما فعل الأمير دمرداش المحمدي[٣] نائب السلطنة بحلب عندما تسحب هاربا ومعه نائب القلعة في سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وذلك عندما علما بقدوم الأمير جكم[٤] إلى حلب للاستيلاء عليها، فتسحبا بدلاً من التصدي والدفاع عن البلد، ولم يرجعا إلى حلب مرة أخرى إلا عندما تصدى مجموعة من أمراء حلب للأمير

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣١٢.

(٢) البصروي: تاريخه، ص ١٧١، ٢٠٤، ٢٠٦. العليمي: التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣١هـ/٢٠١١م ، ج٢، ص٢٧٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣١١- ٣١٣.

(٣) الأمير دمرداش المحمدي الظاهري برقوق، تولى نيابة طرابلس، ثم أتابكية حلب، ثم نيابة حماة، ثم استقر في نيابة حلب في ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، كان معظمًا للعلماء كريمًا، قتل سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص٢١٩.

(٤) الأمير جكم العوضي: سيف الدين جكم بن عبد الله الظاهري برقوق، الدوادار، ثم ناب حلب، كان مهابًا شجاعًا مقدامًا حازمًا صارمًا دينًا، إلا إنه في أخر عمره سفك الدماء، ومن محاسنه أنه بني قلعة حلب بعد أن أخربها تيمورلنك في ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وتوفى جكم في ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٣١٣. الدليل الشافي: ج١، ص٢٤٧. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٢٣٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧٦.

جكم ويعُد عنها [١]، ثم بعدها " ظهر الأمير دمرداش المحمدي نائب حلب من اختفائه"[٢].

وكذلك ما فعله القاضي ولي الدين السفطي الشافعي[٣] فقد تسحب في عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م خوفا وجبنا من إيذاء ابو الخير النحاس[٤] له، بعدما كاد له عند السلطان الظاهر جقمق واتهمه بالكفر وقلة الدين وحرّض القضاة على مجازاته أملًا في قتله[٥]، وآل أمره إلى الحبس بالمقشرة مع أرباب الجرائم ورسم بتوجهه إلى بيت قاضي الشافعية أكثر من مرة، وقاسي أهوالًا وشدائد إلى أن تسحب واختفى نحو ثمانية أشهر ولم يظهر حتى نُكب أبو الخير النحاس الذي كان السبب في تغير خاطر

(١) المقريزي: السلوك ج٦، ص١٣٣. ابن إياس: بدائع الزهور ج١ ق٢ ص ٧٠٦.

(٢) المقريزي: السلوك ج٦، ١٤١.

(٣) قاضي الشافعية محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج السفطي القاهري، ولي المناصب الجليلة ودرّس وأفتى، وحدّث توفي مستهل ذي الحجة سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٣١٢، رقم ٢٠. السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٦٥٠، ٦٥١، رقم ١٤٨٨.

(٤) أبو الخير النحاس: زين الدين أبو الخير محمد المعروف بالنحاس، ولد بالقاهرة، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم صنعة النحاس، فتاجر وصار بينه وبين الناس معاملات، إلا أنه أساء السيرة بعد ذلك، فقد كان وضيعا ثم ترفع حتى تولى الديار المصرية بل والشامية والحلبية بأسرها وصار هو صاحب الحل والعقد بجميع الممالك ورأى من العز ونفوذ الكلمة ما لم يره غيره، ثم تغير خاطر السلطان عليه ونكبه حتى توفي عام ٨٦٤هـ/١٤٥٩م. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٢٧٦، ٢٧٨. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٧٠.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج١٥، ص٣٨٥. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٥، ص٢٨٦.

السلطان عليه[١].

وقد يلجأ نائب القلعة إلى التسحب نتيجة لجبنه وخوفه وعدم ثباته أمام أعدائه وهذا ما فعله الأمير قانصوه الأشرفي نائب قلعة حلب في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٧م حينما انتصر السلطان سليم العثماني[٢] على المماليك في مرج دابق، تسحب هاربا من قلعته وترك أبوابها مفتوحة[٣]، وتسلمها السلطان سليم بما فيها من أموال وسلاح وقماش وتحف وغير ذلك[٤]، بالأمان من غير قتال ولا محاصره، على الرغم من قوتها ومناعتها[٥]، وبهذا أصبح قانصوة الأشرفي منبوذًا لجبنه وخوفه وعدم ثباته أمام

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ج١٥، ص٣٨٥، ٣٨٦، ٤٢٠. حوادث الدهور، ج١، ص٣١٤. السخاوي: الذيل على رفع الإصر، ص٢٤٥-٢٥٥. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٥، ص٢١٧.

(٢) سليم العثماني: سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد، سلطان الروم، ولد ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، ذُكر بأنه كان سلطانًا عظيمًا شديد البطش، سفكاً للدماء، انتزع مصر والشام من يد السلطان قانصوه الغوري، أقام في حكمه تسع سنوات وثمانية أشهر، وقد كانت وفاته في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. انظر: مرعى بن يوسف الكرمى: نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، تحقيق أميرة فهمي محمد دبابسة، جامعة النجاح الوطنية، د.ت ،ص ٢٤٥-٢٥١، نَجْم الدِّين الغَزِّي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ،ج٣،ص١٣٩- ١٤٢. الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج١، ص٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٧٤ . ابن الحمصي: حوادث الزمان ، ج٣، ص٢٨٨

(٤) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٥.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٨٥ ص١٣٠.

الأعداء وتقاعسه عن القيام بواجبه تجاه البلد بينما ثبت نظيره الأمير عليباي[١] بدمشق حينما وصل إليها العثمانيون، وتسلموا البلد كلها ماعدا قلعتها حيث امتنع نائبها عن تسليمها[٢]، فلما هاجمه العثمانيون وهزموه نزل إلى السلطان سليم، وسلم إليه مفاتيح القلعة مجبرًا بعد هزيمته[٣]، فها هو لم يمنع وقوع البلاد في أيدي العثمانيين، ولكنه قام بواجبه في محاولة للدفاع عن القلعة، وما حدث بعد ذلك كان أمرًا خارجًا عنه، إذ لم يتبق للمنهزم إلا أن يخضع لأوامر المنتصر. أما قانصوة الأشرفي فقد آل مصيره إلى أن قبض عليه وحبس جزاء فعلته.

❋ خامسا: التسحب خوفًا من العقوبة:

تعد عقوبة السجن أو غيرها من العقوبات المقيدة للحرية التي يتم توقيعها على مرتكبي الجرائم تكون سببا للتفكير في التسحب رغبة في الحرية أو دليلا على عدم رضاهم عن الحكم الصادر بحقهم أو رغبة في تفادي العقوبة والمعاملة السيئة داخل السجن، ومن أمثلة التسحب خوفا من العقوبة الآتي:

عندما تسحب رجلًا من الحجّارين بعدما ذبح زوجته بالجبل فحز رقبتها وضربها بالسيف في عدة مواضع، "ولم يُعلم له خبر وماتت وذهب دمها هدرًا" ولم يذكر المصدر الدافع الذي جعل هذا الرجل يفعل ذلك لكنه أعقب الحدث بقوله" عند الله

(١) عليباي: قيل عنه: كان عنده طيش وكثرة كلام، لكنه كان قليل الطمع، متعصبًا لمن يلوذ به، مات مقتولاً في ٩٢٤هـ/١٥١٥م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥ ص١٥١.

(٢) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج٢ ص٢٨.

(٣) ابن الحمصي: حوادث الزمان ، ج٣ ص ٢٨٩.

يجتمع الخصوم"[١]. وهنا نجد أن الرجل خاف عقوبة القتل العمد فتسحب هاربا لئلا يلقى جزاء ما اقترفت يداه.

كما تسحب جلال الدين محمد(ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)[٢] والمعروف بابن خطيب داريا[٣] سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م - الذي كان يعمل شاهدًا في قيمة الأملاك بدمشق- خوفا من عقوبة التدليس والتزوير عندما تنبه قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)[٤] لقيامه بتدليس عقد بيع دار وصفها وحددها وقدمه

---

(١) ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأبناء العصر، ص٢١٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب بن على بن سلامة بن عساكر الأديب البارع جلال الدين بن شهاب الدين الأنصاري، شاعر الشام، والمعروف بابن خطيب داريا، ولد سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، اشتغل بالفقه، والعربية، وسائر فنون الأدب، ويغلب عليه المجون فيبديه في كلّ حال، حتّى في المباحث العلميّة، وكثر استحضاره للغة، فكان كان يقدر على تصوير الباطل حقا والحق باطل، توفى سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م. ابن حجي: تاريخه، ج٢، ص٨٠٤. المقريزي: المقفى الكبير تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٥، ص١٠٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٩١- ٣٩٢. ابن تغرى بردى: الدليل الشافي، ج٢، ص ٥٩٩، رقم ٢٠٥٨ . السخاوى: الضوء اللامع، ج٦، ص٣١٠، رقم ١٠٣١.

(٣) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٤٣١.

(٤) قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة: هو إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ولد بمصر سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وقدم دمشق صغيرا فنشأ عند أقاربه بالمزّة وقد كان برهان الدين محبا إلى الناس ولم يكن أحد يدانيه في سعة الصدر وكثرة البذل، وردع أهل الفساد، واشتغل في فنون العلم فولى الخطابة ببيت المقدس ثم أضيف اليه التدريس ثم خطب إلى القضاء بالديار المصرية، وعزل نفسه منها غير مرة ثم سأل فيها ويعاد إلا أن صرف عنها وأقام بالقدس على وظيفته إلى أن خطب لقضاء الشام سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م فباشرها إلى أن مات سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م. المقريزي: درر العقود الفريدة ، ج١، ص٨٥ – ص٩١. ابن ←←←

للقاضي ليأذن له في عمله، وكانت هذه الدار في الأصل هي زاويه الحنابلة الملحقة بالجامع الأموي المعروفة بالغزالية، فقام بكتابة العقد وكتب اسم الدار في العقد "الغزانية" حتي يستطيع إصلاحها بعد ذلك برسم شرطة تصل بين نقطة حرف النون والنبرة فتصير "لاما" ومن هنا تكون " الغزالية" ويبلغ مراده بتلاعبه بحروف اللغة لمقدرته على التصرف في الكلام والألفاظ، وكان السبب وراء قيامه بذلك هو التشنيع على القاضي برهان الدين بن جماعة بأنه أذن في بيع الزاوية الغزالية من الجامع الأموي، فلما رآها القاضي فطن لصنيعه وهم للإيقاع به ففر متسحبا إلى القاهرة [١]، فأمر القاضي ابن جماعة بحبس شهود القيمة، وظل ابن خطيب داريًا مختفيًا بعدما علم أن القاضي أمر بضربه لقيامه بتدليس العقد، فوسط جماعة للتشفع له وتخفيف الحكم عنه، ولم يظهر إلا بعد أن عفي عنه القاضي واكتفى بعزله من وظيفته [٢].

وإلى جانب ما سبق فقد أوقع أحد الوُعّاظ نفسه في مشكل دفعته إلى التسحب وذلك عندما تسحب الشيخ أبو العباس أحمد [٣] المِجْدَلي من بلده إلى القاهرة في

←←←

حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٧.

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه، ج٣، ص ١٣٢. السخاوى: الضوء اللامع، ج٦، ص٣١٠، ٣١١. الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ١٠٦. وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، ط١، نشر مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص١٩٥٤، رقم ٢٧٣٧.

(٢) المقريزي: المقفى الكبير، ج٥، ص١٠٢. ابن قاضي شهبة: تاريخه، ج٣، ص ١٣٢.

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الله المقدسي الشافعي الواعظ ويعرف بأبي العباس القدسي ولد سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م بالمجدل ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وغلب عليه الوعظ والتذكير، وله باع واسع في الحفظ للأحاديث والتفسير توفي بعد مرض طويل سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م ودفن بالقرافة

←←←

محرم سنة ٨٥٧هـ/يناير١٤٥٣م خوفا من عقوبة السجن بسبب سعيه في الأرض فسادًا وتسببه في خراب بلده المِجْدَل[١]. فقد رتب قضية أحدثت خرابا في بلده واقتتال أهلها، حيث قام بتزوير محضر على شخص يقال له: " ابن قَزَابِر"- وهو كبير المِجْدَل- ادَّعي عليه بأخذه للأموال وانتقاص بعض الأنبياء، وكان هدفه من وراء ذلك الادعاء هو حصوله على مال ابن قزابر وقتله[٢]، فقام بالتدليس على قاضي نابلس حتى تمكن من أخذ خطه على ذلك المحضر بثبوت ادعائه على ابن قزابر، ثم قام بإرسال المحضر على الفور مع أخيه الى ناظر الخاص بالقدس الذي أمر بإحضار ابن قزابر اليه، ووافق ذلك حضور الشيخ محمد النشابي عند الناظر، ومعه القاضي عبد الرحمن ابن الديرى[٣]، وافتضح أمر أبى العباس ووقع في شر أعماله عندما وقعت نسخة من المحضر في أيدى النشابى وعلم أنه مزور، فأمر بوضع أخو

→→→

الصغرى. انظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٤٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص٣٦٣، ٣٦٤. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣، ص١٠٧٥ رقم ٤٨.

(١) المِجْدَل: بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال واللام هو القصر المشرف، وجمعه مجادل: اسم بلد طيب بالخابور الى جانبه تل عليه قصر وفيه أسواق كثيرة وبزار قائم انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص٥٦ ، ٥٧.

(٢) البقاعي: إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ج ١، ص٢٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد القاضي، ابن قاضي القضاة شمس الدين، وأخو شيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين الديري العبسي المقدسي الحنفي، وولي نظر الحرمين بعد وفاة خليل السخاوي، واستمر إلى أن عزل بالواقعة التي حدثت بينه وبين تمراز بن بكتمر المؤيد نائب القدس، توفي سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص٢٢٨- ٢٢٩ رقم ١٤٠٥.

العباس في الحديد وإلقائه في السجن كما أمر بالقبض على أبي العباس نفسه لكنه تسحب هاربًا الى القاهرة [١].

إلا أنه بعد تسحبه إلى القاهرة لم يتوار عن الأنظار بل أقحم نفسه في مشاكل أخرى، ولأنه كان ظالمًا فقد أراد له الله افتضاح أمره، والقصاص لابن قزابر فساقه قدره؛ لأن يشيع أمر المحضر بكيفيات مختلفة فعرف من ذلك كذبه وافتراءه، فأخذ يشنع على النشابي والناظر، لكنه لم ينجح في سعيه هذا؛ حتى آل أمره أن عقد القاضي المالكي مجلسًا لمحاكمته في يوم الثلاثاء ١٦ محرم سنة ٨٥٧هـ/٢٦ يناير ١٤٥٣م وانتهت القضية بإطلاق ابن قزابر من الحبس، وإبقاء أبو العباس في الترسيم ليدعى عليه، كما تم منعه من أن يتكلم بين المسلمين بالوعظ لتهمته في أقواله وأفعاله، وحكم بسجنه في سجن الرحبة[٢]، وظل به حتى شهر صفر سنة ٨٥٧هـ/ فبراير ١٤٥٣م إلى أن قام الشيخ مدين المالكي[٣] في بالتوسط له لدى السلطان المنصور عثمان(٨٤٢– ٨٥٧ هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) للإفراج عنه فقبل السلطان شفاعته فيه وأمر بإطلاق سراحه [٤].

---

(١) البقاعي: إظهار العصر ،ج ١ ، ص ٢٩٣ .

(٢) البقاعي: اظهار العصر ،ج ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن يونس الحميري المغربي ثم الاشموني القاهري المالكي ولد سنة ٧٨١هـ/١٣٨٠م في أشمون جريس الغربية وكانت له شهرة عظيمة وللناس فيه اعتقاد ومحبه زائدة توفي بزاويته بخط المقص بظاهر القاهرة في ربيع الأول سنه ٨٦٢هـ/١٤٥٧م . انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٩١. السخاوي الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٥٠ رقم ٦٠٣.

(٤) البقاعي: إظهار العصر، ج ١، ص ٣٠٠ .

وهنا يلاحظ أن التسحب لم يفده في شيء فقضاء الله وقدره لا راد لهما، ففي قصته عبرة لمن يعتبر، فقد كان أبو العباس من الشخصيات المتناقضة فكيف يكون إماما واعظا و يصدر منه مثل هذه الأمور ويسعى للفساد في الأرض.

كما تسحب محب الدين رئيس أطباء السلطان خشقدم في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م بعدما علم ما ينتظره من عقوبة التوسيط وذلك عندما ثقل على السلطان المرض ولم يستطيع الخروج إلى صلاة الجمعة إلا غصبًا حتى كاد أن يقع في صحن الجامع فحملوه الى دور الحريم ولم يخرج منها ثانية [١] فلما تزايد عليه الأمر، ولزم الفراش ظن أنَّ الأطباء قد قصروا في طبه فغضب عليهم وتوعدهم بالتوسيط كما فعل الأشرف برسباي بأطبائه، فعندما علم رئيس الأطباء محب الدين بذلك تسحب هاربا واختفى مدة ، ثم بعد ذلك قبض عليه وسجن بالبرج بالقلعة فقام الشهاب أحمد بن العيني بالتشفع له لدى السلطان للإفراج عنه فقبلت شفاعته فيه وأطلق من محبسه ولزم داره بطالا[٢].

وعادة ما يقوم الأمراء بالتسحب والاختفاء مع رأس نوبة النوب للخلاص من عقوبة ما كما فعل الأمير خشكلدي البيسقي[٣] في بداية سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حينما علما بأمر السلطان طومان باي بأن يتوجه منفيًا إلى القدس بطالاً، ومعه جماعة من

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص٣٠١، ٣٠٢ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج ٦، ص ٢٧٤، ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٥٢.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص ٢٧٤. ابن اياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٥٢.

(٣) خشكلدي البيسقي: تأمر عشرة، بالإضافة إلى الحسبة، ثم عمل شاد الشراب خانة، فكان مسئولاً عن بيت الشراب، ثم ولي رأس نوبة النوب. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧٧. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٢٢٧، ٢٥١.

الأمراء، فلما بلغهم ذلك تسحبوا " واختفوا من دورهم " [١]. ولم تذكر المصادر إلى أين ذهبوا ولا ظهورهم مرة أخرى.

وفي محرم سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م تسحب بعض أمراء الملك العادل طومان باي وهم جاني بك الشامي شاد الشراب خانة، وخاير بك كاشف الغربية الشهير باللامي من السجن، و" قد تسحبا من البرج التي بالقلعة وقت الظهر وقتلوا السجان وتسحب معهم عدة مماليك كانوا بالبرج"، وكان نتيجة تسحبهم أن اضطربت الأحوال في القاهرة [٢].

وأحيانًا يكون التسحب من أجل تخفف العقوبة، كما حدث مع أرزمك التركي الذى اتُهم بقتل السلطان العادل طومان باي في ٩١٠هـ/١٥٠٤م وحبس بذلك، لكنه قتل السجّان وأخذ ثيابه ولبسها وتسحب وهرب حتى يجد مخرجا لما به من ورطة، فأرسل يطلب الأمان من السلطان الغوري وتشفع فيه الأتابكي قرقماس[٣]، فترأف به السلطان وعفى عنه، وخفف عقوبته من القتل إلى النفي، فأمر بنفيه [٤].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٩٦. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٣١٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٧٤. ابن الحمصي: حوادث الزمان، م٢، ص١١٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٨.

(٣) الأتابك قرقماس من ولى الدين أتابك العساكر بالديار المصرية، كان أميرًا جليلاً مبجلاً معظمًا، أصله من مماليك الأشرف قايتباى ثم أعتقه، تولى العديد من الوظائف منها أمير أخورية الثانية ومقدم ألف ورأس نوبة النوب ثم أصبح أتابك العساكر بالديار المصرية وظل بها حتى توفى في رمضان سنة ٩١٦هـ/ ديسمبر ١٥١٠م ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء بجوار تربة الأشرف إينال(٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، وكانت جنازته حافلة وبكى عليه جميع من بالقاهرة ونثروا الفضة على نعشه وتأثر السلطان الغوري لموته حتى أنه حمل نعشه بنفسه وبكى عليه بكاء شديدًا. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٤، ص٧٥.

وهنا يتضح الأثار السلبية للتسحب وذلك لما ترتب عليه من عدم توقيع العقوبة الرادعة في مثل هذه الامور ما شجع غيره على القيام بمثل فعلته هذه، فضلًا عن إلحاق الضرر بالغير وهذا ما تم فعلا عندما تغير خاطر السلطان على الأمير محسن الحبشي[١] ونفاه إلى سواكن، وكذلك جوهر الشمسي[٢] شاد الحوش[٣]، ونفاه إلى مكة سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م؛ لأنهما ممن كانا غفلا عن أرزمك التركي الذي تسحب من محبسه [٤]. فترتب على تسحب أرزمك التركي نفي الأميرين بدون ذنب، وقتل نفس بريئة.

كما تسحب شخص من المماليك الأتراك يدعى ماماي الداودي[٥] سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م بعد الحكم عليه بالنفي لأنه ضرب شخصًا من التجار بعدما اختلفا على شراء بغل، فلما ضربه سالت منه الدماء، فشكاه التاجر إلى السلطان الغوري، فأمر بنفيه فقبض عليه نقيب الجيش، لكنه تسحب واختفى مدة حتى يستطيع أن يوسط أحدًا لدى السلطان ليتشفع فيه، فتسحبه هنا كان بهدف التواري عن الأعين حتى يتشفع له أحدهم لدى السلطان وليس انسحابا من الحياة العامة والاختفاء التام،

---

(١) محسن الحبشي: الفتحي، أبو الفتح المنوفي، ثم الأشرفي قايتباي، الطواشي الحبشي، استقر خازنًا خلفًا لسنبل الخازن. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٤٠.

(٢) جوهر الشمسي بن الزمن الحبشي، كان حسن التربية، بارعًا في التجارة، ذُكر عنه: أنه صاحب عقل وأدب. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٨٢.

(٣) شاد الحوش: مفتش الحوش، والحوش: صدر الدار المكشوف وما حوله من فناء، وتسمى العملية شد، وتسمى الوظيفة شادية. زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٢١١، ٣٣٥.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٨٠.

(٥) ماماي الداودي: أبو الأمير أبي يزيد أحد المقدمين، قيل عنه: أنه كان من شرار المماليك، وعمل مشدًا على جهات المكوس بقطيا. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٨.

وقد تسبب ذلك في إيذاء نقيب الجيش، ومع ذلك لم تفلح الوساطة، فتوجه ماماي هذا الى الاتابكي قرقماس يتشفع به لدى السلطان حتى يعفو عنه فطلع الأتابكى إلى السلطان وسأله العفو عنه فلم يقبل السلطان شفاعته، وقبض على ماماي وضرب ونفي إلى الواحات[١] لأنه كان من شرار الناس [٢].

* سادسًا: التسحب نتيجة الإحباط والإحساس بالعجز أمام المشاكل الاقتصادية.

ففي بعض الأحيان عندما يتعرض المرء لمشكلة ما، وقد يكون الشخص محدودًا في التصرف لإحساسه بعجزه وعدم قدرته على حل المشكلة، سواء كان ناجمًا هذا العجز عن نقص الموارد أو القدرات فَيُؤْثِر التسحب والفرار على المواجهة.

وأحيانا يتعرض من يعمل في وظيفة الاستادارية [٣] إلى بعض الضغوط التي تدفعه إلى التسحب لإحساسه بعجزه وعدم قدرته على مواجهة المشكلات، سواء كان ناجمًا هذا العجز عن نقص الموارد أو القدرات فَيُؤْثِر التسحب والفرار على المواجهة.

---

(١) الواحات: ثلاث كور في غربي مصر، ثم غربي الصعيد، أولها: مقابلة للفيوم، وتمتد إلى أسوان، وبعدها جبل تمتد من ورائه الواحة الثانية، وخلفها جبل تمتد وراءه الواحة الثالثة، وهي التي بينها وبين النوبة ست مراحل، وبها قبائل من البربر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٢"، وتقرر في ١٨٩٤م فصل الواحات من مديرية الفيوم وإلحاقها بمديرية المنيا. محمد رمزي: القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ويشمل مديريات الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢٦.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٨.

(٣) الاستادارية: وصحبها يسمى الاستادار وهو الذي يمشي بطلب السلطان، ويحكم في غلمانه وداره، وإليه أمر الجاشنكارية، وصاحبها له حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي، وجرت العادة أن يكونوا أربعة: واحد مقدم ألف وثلاث طبلخانه. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

ومن أمثلة ذلك ما حدث في شهر رجب سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م عندما خلع على القاضي سعد الدين بن غراب[١] واستقر استدارًا مضافًا إلى ما بيده من الوظائف[٢]، وقد التزم عند استقراره في هذه الوظيفة بتتمة النفقة وإعطاء كل مملوك ألف درهم، لكنه فوجئ عند نزوله من القلعة أن ثار عليه جماعة من المماليك ورجموه، فما كان منه إلا أنه اختار الانسحاب عن مواجهة الأمر وهرب واختفى هو وأخوه ولم يعرف لهم طريق، واستقر غيره في الاستادارية[٣]، لكنه سرعان ما ظهرا ابنا غراب مرة ثانية بعد أن تدارك خطئه واستجارا بالأمير نوروز الحافظي، ثم ورد كتاب أمان من مشايخ تروجة[٤] بسؤال الأمان لابن غراب، فكتب لهم السلطان أمانا[٥] وخلع عليه باستقراره في وظائفه القديمة[٦].

---

(١) سعد الدين إبراهيم: هو إبراهيم ابن عبد الرزاق سعد الدين ابن غراب الأمير القاضي سعد الدين بن علم الدين بن شمس الدين في ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ولم يبلغ الثلاثين . انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١، ص١٠٤. الدليل الشافي: ج١، ص٢١. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٦٥.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٦، ص٥٧ . ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص١٠٠.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٢، ص٢١٧.

(٤) تروجة: بلد كانت غربي ناحية بطورس بقليل وفي الجنوب الغربي لدمنهور وأقرب البلاد إليها من الجهة القبلية ناحية حوش عيسى، وكانت مدينة عظيمة ذات مساجد وقصور وأسواق قصدها كثير من الأمراء والملك للصيد وذكر محمد رمزى "أنها درست ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضي ناحية زاوية صقر بمركز أبى المطامير بمدينة البحيرة. انظر محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق١، ج١، ص١١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢١٨.

(٦) وهي نظر الجيش ونظر الخاص والاستادارية. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص١١٩.

وفي بعض الأحيان يشعر بعض الوزراء بالإحباط نتيجة الإخفاق في تحقيق الأهداف المرجوه منه فيلجأ إلى التسحب نتيجة لإحساسه بالعجز وذلك ما حدث عندما تسحب الوزير أمين الدين بن الهيصم[١] أكثر من مرة من بعد توليه المنصب، فبداية تسحب بعد شهر من توليته الوزارة عام ٨٣٨هـ/١٤٣٥م لإحساسه بعجزه وعدم قدرته على القيام بمهامها[٢]، ثم في عهد الملك الظاهر جقمق(٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٩-١٤٥٣م) تولي الوزارة سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م للمرة الثانية، وقد باشرها هذه المرة مباشرة جيدة، حتي إنه في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م خلع عليه خلعة الرضى، وألبس بعدها خلعة أخرى بسبب ري البلاد الجيزية وتفرقته إطلاقات[٣] علي المماليك السلطانية كما كانت العادة[٤]، واستمر إلى أن عجز عن القيام بالكلف السلطانية، فعزل في سنة٨٥٦هـ/١٤٥٢م بعد أن مكث في هذا المنصب خمس سنوات، وقد ظل معزولًا إلى أن أعيد إليها للمرة الثالثة في صفر سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م ولكنه عجز أيضا عن مباشرتها وهنا فكر في التسحب فاختفي في شهر رمضان من نفس العام أي بعد سبعة أشهر فقط، وقد ظل مختفيا إلى أن أعيد

---

(١) هو إبراهيم بن عبدالغني بن إبراهيم أمين بن الهيصم، ولد في أوائل القرن الثامن الهجري بالقاهرة ونشأ تحت رعاية أبيه ثم عمه التاج عبدالرازق، وباشر عدة جهات إلي أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة٨٥٩هـ/١٤٥٥م. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٦٧ . ابن إياس: بدائع الزهور: ج١، ص٣٥٥.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور: ج٢، ص٣٥٣ . السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٦٧.

(٣) الإطلاقات: هي المقررات التي وافق عليها السلطان، وهي هنا تخص النفقة السلطانية على المماليك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٤٠.

(٤) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٣، ص٤٠.

إلي الوزارة للمرة الرابعة في سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م في عهد السلطان الأشرف إينال[١] (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) ، ولكنه لم يستمر طويلا في الوزارة كعادته حيث تسحب واختفى في نفس العام وظل إلى أن مات عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥[٢].

وهنا نرى أن ابن الهيصم تولى الوزارة أربع مرات لثلاث سلاطين فكان كلما عجز عن القيام بعمله وشعر بثقل أعباء الوزارة تسحب وتوارى عن المشهد، وكان أحرى به أن يستعفى منه أو أن يعتذر عن قبول المنصب من البداية بدلًا من التسحب والاختفاء، لكن شعوره بالإحباط لعجزه عن حل المشاكل هو ما دفعه لذلك الفعل.

وما حدث في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م عندما قبض على الزين يحي الإستادار بسبب تأخير نفقات الجامكية، وضرب وقرر في الاستدارية فرج بن النحال عوضا عنه[٣]، ثم أفرج عنه في شهر رجب من نفس السنة مقابل دفع مبلغ عشرة آلاف دينار، وأمر بإخراجه وعودته إلى الخدمة مرة أخرى[٤]. ولكن رغم عودة الزين الإستادار إلى الخدمة في رجب سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٨م إلا إنه وقع مرة أخرى تحت تهديد المماليك الجلبان الذين طالما تعرضوا له وضربوه حتي أظهر العجز عن القيام بجوامك

---

(١) السلطان الأشرف إينال: هو إينال العلائي الظاهري الناصري الأشرفي، اشتراه برقوق هو وأخوه طوخ فأعتق طوخاً، ثم انتقل إينال للناصر فرج فأعتقه، وتولى الكثير من الوظائف حتى وصل إلى الأتابكية واستمر بها حتى تسلطن، توفي سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م.السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٣٢٨، ترجمة رقم ١٠٨٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٩، ص٤٤٩.

(٢)ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص١٥٥، ج٢، ص٤١١-٤٩٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٦٧-٦٨ .

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٧٣ ، حوادث الدهور، ج٢، ص٥٨٢ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج٥، ص٤٥٩.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٧٤ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج٥، ص٤٦٠،٤٦١.

المماليك السلطانية فتملكه الخوف والإحباط فتسحب من منصبه واختفى[١] في جمادي الآخرة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م ويكلف السلطان المجد بن البقري بالاستدارية عوضا عنه، ولكن عند ظهور الزين يحيى بعد فترة من اختفائه قام السلطان بإعادته إلي الاستدارية بدلا من ابن البقري وتتكرر مطالبته بالأموال واختفاؤه من جديد[٢]، وفي محرم سنة٨٦٩هـ/١٤٦٥م ظهر زين الدين وأعيد إلى وظيفته، ولكن سرعان ما قبض عليه وذلك للمطالبة بما كان في ذمته من قبل، ثم أمر السلطان بالقبض عليه، فأحس هو بذلك، فاختفى ولم يعلم له خبر[٣]، ثم عاد إلي وظيفته مرة أخري سنة٨٧٠هـ/١٤٦٥م[٤]. واستمر بها إلي أن مرض ومات في ربيع الأول سنة٨٧٤هـ/١٤٦٩م وقد زاد علي الثمانين سنة[٥].

هذا وقد يتعرض من يتولى وظيفة نظر الخاص[٦] إلى بعض المشكلات التي تصيبه بالعجز أمام حلها فيلجأ إلى التسحب من وظيفته والهروب بعيدا وذلك ما

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص١١٣ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٥٨،٧٥،٧٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص١٢٨، ٢٤٣، ٢٤٤ ، ٢٥٢. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٨٩، ١٥٧ ، ١٦٠، ١٧٦، ١٨١.

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٢٦٠ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٢٣٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٣٤.

(٦) ناظر الخاص: فهي وظيفة ديوانية مستحدثة، أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة، وموضوعها التحدث في ما هو يخص مال السلطان ولناظر الخاص أتباع من كتاب ديوان الخاص. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٠-١٣١. زين العابدين: معجم الألفاظ، ص ٥٢٢.

حدث مع الزين عبدالرحمن بن الكويز[١] الذي قرر سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م في نظر الخاص في عهد: في عوضا عن ابن كاتب جكم[٢]، ولكنه تسحب واختفى في شوال سنة٨٦٥هـ/١٤٦١م لعجزه عن إحضار مائة ألف دينار من ثمن البهار لأجل النفقة، ثم عاد للظهور في ذي القعدة من نفس العام فوبخه السلطان السلطان الأشرف سيف الدين إينال العلائى(٨٥٧هـ-١٤٥٣م/٨٦٥هـ-١٤٦٠م) وطالبه بالمال وأمر بالتوكيل به [٣].

أما موفق الدين أحمد بن عبدالرازق الأسلمي المعروف بالقمص فقد خلع عليه وقرر في نظر الدولة[٤] مرتين في عهد السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢هـ/١٤٦٨م-٩٠١هـ/١٤٩٦م)، الأولى في صفر سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م[٥]، ولم يلبث فيها طويلا حيث تسحب واختفى بعد فترة قليلة من ولايته [٦]، أما المرة الثانية فكانت سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦[٧]، ولكنه عزل عنها في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م، حيث تغير السلطان عليه، وضربه بالمقارع وقرر غيره في نظر الدولة[٨]. وبذلك نرى أن تسحبه كان خوفًا من عقاب السلطان له وهو ما حدث بالفعل في المرة الثانية لتوليه نظر الدولة.

---

(١) عبد الرحمن بن الكويز: ولد في ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، وحفظ القرآن، تولى نيابة الإسكندرية أيام الأشرف برسباي، ثم الاستادارية الكبرى أيام الظاهر جقمق، واستقر في نظر الخاص، مات في ٨٧٧هـ/١٤٧٢م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٧٦، ٧٨.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص٤٧.

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٦، ص١٢١، ١٢٣ ، ١٢٥.

(٤) ناظر الدولة: يشارك الوزير في أمور القصر عامة، ويسمى: ناظر الدواوين أو ناظر النظار أو الصاحب الشريف. زين العابدين: معجم الألفاظ، ص٥٢٢.

(٥)ابن شاهين: نيل الأمل، ج٧، ص٣١١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٢..

(٦) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٧، ص٣٢٤.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٦٩.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٧٥.

وعلى أي حال فإنه من الملاحظ أن بعض الوزراء وما يتبعهم من وظائف كنظر الخاص والدولة عندما يضيق بهم الحال عن حل بعض المعوقات المالية يلجؤون إلى الحل الأسهل وهو الانسحاب من الوظيفة وأعباءها.

ومما سبق يتضح أن هناك كثيرًا من حالات التسحب في عصر المماليك الجراكسة سجلها التاريخ مع ذكر أسبابها، ويوجد أيضًا حالات مدونه دون ذكر الأسباب، وذلك كقول ابن تغري بردي عن الأمير سودون بقجة متعجبا من تسحبه بدون سبب قائلا عنه : " الأمير سودون بقجة الذي ترك الناصر محمد وتوجه إلى الأمير شيخ ونوروز "من غير أمر أوجب تسحبه" [١].

(١) النجوم الزاهرة ، ج١٣، ص١١٦.

المبحث الثالث:

الأثار المترتبة على ظاهرة التسحب.

ومن العرض السابق نستطيع أن نحدد بعض الآثار التي ترتبت على ظاهرة التسحب في عصر المماليك الجراكسة، والتي اختلفت حسب اختلاف المنسحبين، فمنها ما يترتب على ذات المتسحب مثل: القبض عليه ومحاكمته، أو إيداعه السجن، أو القتل ومحو الوجود، أو التجرد من وظيفته والنفي، أو العفو عنه وكذا، وما ينتج عن تسحبه وآثاره على أسرته وأقاربه ومجتمعه.

أولا: الأثار المترتبة على المتسحب نفسه.

❋ الإمساك بالمتسحب وتنفيذ العقوبة:

جدّ السلاطين في تكثيف جهودهم للقبض على المتسحبين لمحاكمتهم وتنفيذ العقوبات فيهم، وذلك ما حدث مع الأمير طوغان الحسني الذي قبض عليه بعد تسحبه سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م بثلاثة أيام فقبض عليه وأرسل إلى الإسكندرية ليسجن هناك(١). وكذلك عندما قبض السلطان ططر على المتسحبين الهاربين في صرخد، فقبض على جقمق وحُبس، ونفى طوغان إلى القدس بطالاً(٢).

وأيضا مثلما حدث ماماي الداودي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م الذي تسحب بعد الحكم عليه بالنفي، وحاول بطرق عديدة أن يسأل السلطان العفو عنه إلا أنه لم يقبل بذلك، ومازال حتى قبض عليه وضرب ونفذت فيه العقوبة ونفي إلى الواحات(٣).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٩.

(٢) العيني: عقد الجمان، ص١٤٥. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٤، ص١٩٣.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٨.

❋ إسقاط العقوبة التي تسحب خوفًا منها أو تخفيفها:

وهذا مثلما حدث مع أرزمك التركي الذى حبس وكان ينتظر عقوبة القتل لاتهامه بقتل العادل طومان باي في ٩١٠هـ/١٥٠٤م ، لكنه قتل السجّان ولبس ثيابه وتسحب وهرب وظل مختفيًا حتى أرسل يطلب الأمان من السلطان الغوري وتشفع فيه الأتابكي قرقماس، فترأف به السلطان وعفى عنه، وخفف عقوبته من القتل إلى النفي(١).

❋ فقدان وظيفة المتسحب ومعاونيه.

ومن آثار التسحب والاختفاء دون مواجهة الموقف فقدان المتسحب لمنصبه الذي يشغله ومن أمثلة ذلك: أنه خلع على علي باي دويدارا كبيراً عوضاً عن الأمير مقبل الدويدار نتيجة تسحبه سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م(٢) ففقد بذلك وظيفته.

كما خلع في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م على الأمير آقبردي الدوادار وقرر في الاستادارية عوضا عن الأمير تغري بردي نتيجة تسحبه (٣).

واستقر الأمير جانم الأشرفي سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م في نيابة القدس عوضًا عن الأمير شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه بعد تسحبه وضبط موجوده، وكان شهاب الدين يتولى نيابتها من سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م (٤).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ، ج٤، ص٧٥.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج٣، ص ٢٣٩ .

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٩٣.

(٤) أحمد سامح الخالدي: رجال الحكم والإدارة في فلسطين من عهد الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر القاهرة، ٢٠١٢م، ص٦٣.

❋ زيادة التوتر والضغط النفسي:

ومن الآثار النفسية على التسحب والهروب بدلًا من المواجهة، زيادة التوتر والضغط النفسي: وهذا بالفعل ما عاناه السلطان الظاهر برقوق لما تسحب عندما تغلب يلبغا الناصري ومنطاش عليه وتسلطن السلطان حاجي بعد تسحبه فقد كان دائم التوتر والهلع عندما يتصور مصيره من القتل إذا أمسك، فتحكي المصادر موقفا له يوصف حالة التوتر والضغط النفسي له مدة اختفائه وذلك أنه كان مختفيا في الكرك عند حسام الدين الكجنكي[١] نائب الكرك وعندما وصل كتابًا من الأمير منطاش إلى الكجنكي مضمونه قتل السلطان الظاهر إذا ظهر وعرف مكانه، وعندما أطلع الأمير الكجنكي السلطان برقوق على هذا الكتاب " كاد أن يهلك من الجزع" ولم يهدأ من روعه إلا بعد أن أقسم له الكجنكي بكافة الأيمان بأنه لن يتخلى عنه ولن يسلمه لأحد حتى لو اقتضى الأمر أن يفديه بحياته، وما زال به حتى هدأ وسكن روعه وطابت نفسه واطمأن خاطره[٢]، وظل السلطان الظاهر يعاني الخوف وكثرة الإرجاف طوال فترة هروبه وحتى رجوعه للسلطنة مرةً أخرى[٣].

وهذا ما عاناه أيضًا الأمراء المنشقين على السلطان فرج سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م حيث بلغ خوفهم من تطورات الأحداث حدًا لا يوصف مما حدا ببعض من حولهم لطمأنتهم والتهدئة من روعهم، وهو الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسن بن الأذرعي – إمام الأمير شيخ – فتقدم وصلى بهم المغرب وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة

---

(١) الأمير حسام الدين الكجكني: هو الأمير حسام الدين حسن الكجكني، تولى منصب أمير خمسين بمصر توفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م ودفن بتربته قبالة حوش السلطان. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١١، ص٣٥٧.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٥ ص٢٥٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١١، ص٣٤٩.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١١، ص٣٥٧.

بصوته الشجي قول الله عز وجل ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾(١).

وهذا يؤكد إيجابية الدعم النفسي للمتسحبين، حيث كان وقع هذا الدعم على الأمراء المنشقين أشد إذ أنه" ما غربت الشمس حتى صار القوم من الخوف إلى الأمن ومن الذل إلى العز... فوقعت قراءة هذه الآية أحسن موقع بمناسبة الحال. وباتوا بمخيماتهم ليلة الثلاثاء وأصبحوا ليس فيهم واحد ينقاد لآخر"(٢).

❋ اضطراب الحياة الاجتماعية للأسر المحيطة بالمتسحب:

ومما ترتب على تسحب بعض السلاطين وكبار الأمراء أن قام مماليكه وأصحابه إما بالانضمام إلى القائم على مقاليد الحكم وإما بالتسحب والتخفي في داره خوفا على نفسه حتى يجد من يتشفع له أو يطلب الأمان على نفسه، ومثال ذلك ما قام به الملك الظاهر جقمق عندما تمكن من القبض على الملك العزيز يوسف المتسحب وعلى مماليكه جميعا فقام بحبسه أما مماليكه فعاقبهم جميعا بالنفي وفرقهم، فنفى مجموعة منهم إلى الواحات، ونفى بعضهم إلى قوص(٣)، بدون مصاحبة أهاليهم الذين ظلوا في ذلك اليوم على حالة شديدة من الصراخ والعويل(٤)، كما نفى منهم جماعة في البحر، فنزل بهم فيه، ولم يُعلم إلى أي جهة توجهوا ولم تذكر المصادر عاقبة أمرهم(٥). ولا شك أن ذلك أثر على الحياة الاجتماعية لذويهم تأثيرا بالغا.

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٦ ص٣١٦.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٣٨٢، العيني: عقد الجمان. تحقيق: القرموط، ص٥٣٦.

(٤) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٤، ص٤٢، ابن شاهين: نيل الأمل، ج٥، ص٥٩.

(٥) العيني: عقد الجمان. تحقيق: القرموط، ص٥٣٧.

ثانياً: الأثار المترتبة للتسحب على المجتمع المملوكي آنذاك.

ضياع الحقوق

ففي بعض الحالات، قد يكون التسحب والهروب والاختفاء سببا في ضياع الحقوق وعدم إقامة حد الله بالقصاص أو تنفيذ العقوبات القانونية سواء المالية أو السجن. ومن ذلك: ضياع حق امرأة قام زوجها بذبحها بالجبل بأن حز رقبتها وضربها بالسيف في عدة مواضع، وتسحب هاربا "ولم يُعلم له خبر وماتت وذهب دمها هدرًا وعند الله تجتمع الخصوم"(١).

❋ الإضرار بالغير واتهامهم بالتقصير:

وعلى مستوى آخر فقد يؤدى التسحب والاختفاء الإضرار بالآخرين ومنها ما يرويه ابن إياس أن الملك المنصور حاجي مات وهو مقعد في الفراش من" الطربة التي حدثت له عندما كبس عليها الظاهر برقوق في الليل واستمرت الطربة عمالة معه إلى أن مات بها"(٢).

وعندما يقوم شخص ما بالتسحب فربما يؤدي تسحبه إلى تفاقم الوضع والأذى لأشخاص غيره ، كما حدث للطواشي بهادر(٣) الشهابي مقدم المماليك فقد قبض على وختم على حواصله " وذلك أنه اتهم بأنه أخفى السلطان الملك الظاهر"(٤) وأخرج منفيًا إلى قلعة المرقب.

---

(١) ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأبناء العصر، ص٢١٥.

(٢) بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٤٣٣، ٨١٥

(٣) الطواشي بهادر: سيف الدين بن عبد الله الشهابي الطواشي الرومي، مقدِّم المماليك السلطانية ، كان محترمًا، كثير المال، محبًا في جمعه، توفى سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. السخاوى: الضوء اللامع، ج٣، ص ١٩.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٥، ص٢٣٦.

وتكرر ذلك مع الأمير أسندمر الظاهري برقوق، والذي نسب إليه التقصير في تنفيذ أوامر السلطان، و تفريطه في أمر جاني بك الصوفي، مما ترتب على ذلك تسهيل هروب جاني بك من سجنه، فكان ذلك داعياً إلي أن يتوجه الأمير أسندمر إلي دمياط بطالاً بأمر السلطان، وذلك في شوال سنة ٨٢٦هـ/سبتمبر سنة ١٤٢٣م(١).

كما كانت علاقة جانبك الصوفي بشخص يدعى عبد الله بن السديد سببا في أن يقوم السلطان الأشرق برسباي بمعاقبته هو الأخر وعزله من مناصبه وانحطاط قدره في الدولة، وليس ذلك فحسب بل زاد الأمر بأن قبض عليه وضربه بالمقارع حتى يعترف بمكان الأمير جانبك، فقاسى بسببه أهوالًا ثم لزم داره على أقبح حالة حتى مات(٢).

وتظهر الأثار السلبية للتسحب من إلحاق الضرر بالغير وهذا ما رأيناه مع الأميرين محسن الحبشي جوهر الشمسي، اللذين نفاهما السلطان سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م الأول إلى سواكن، والثاني إلى مكة ؛ لأنهما غفلا عن أرزمك التركي الذي تسحب من محبسه(٣). فترتب على تسحبه نفي الأميرين بدون ذنب، وكذلك قتل نفس بريئة " السجّان" بدون ذنب.

❋ الإضرار بالجانب الاقتصادي والاجتماعي للدولة

هناك العديد من حالات التسحب أدت إلى اضطراب المجتمع وإدخاله في حاله من الرعب والخوف والترقب لحوادث الفتنة التي تؤثر بشكل أو بأخر على الاقتصاد ويتضح ذلك في حادثة تسحب الأمير طوغان الحسني، ويعلق ابن تغري بردي على أحوال الشارع المصري بقوله: " وأصبح الناس يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى والأسواق مغلقة

(١) المقريزي: السلوك ،ج٧ ،ص٨٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١٤، ص٢٥٧. المنهل الصافي، ج٢، ص٤٧٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١٥، ص١٦٦، ١٦٧.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٨٠.

والناس تترقب وقوع فتنة، فنادى السلطان بالأمان، وأن من أحضر طوغان المذكور فله ما عليه مع خبز في الحلقة" [١]، فعلى القارئ أن يدرك مدى التأثر السريع على حركة التجارة ، فلم يكد يمر على تسحب الأمير واختفائه سوى يوم واحد حيث كان قد تسحب يوم الاثنين ١٦ جمادى الأولى ٨١٦هـ/١٣ أغسطس ١٤١٣م.

وكان ينتج عن حوادث التسحب محاولات التفتيش عن المتسحبين في معظم الأماكن والمواضع الأمر الذي يضر بالحياة اليومية، مثال ذلك عندما كبست المماليك المؤيدية سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م على مواضع متعددة بالقاهرة ومصر وظواهرهما طلبا للملك العزيز يوسف والقبض عليه ولا شك أن تلك الإجراءات الحازمة قد أثرت على نفوس المصريين و " شمل الخوف كثيرا من الناس "، وبطبيعة الحال لم يكن لتلك الحادثة الأثر النفسي فقط في قلوب الناس بل كان له امتداد على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فكادت الأسواق أن تتعطل لكثرة الإرجاف والخوف بأن بيوت الناس كلها تكبس[٢].

كما كان نتيجة تسحب بعض أمراء الملك العادل طومان باي من السجن سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م، وانضمام مجموعة من المماليك المساجين إليهم، أن اضطربت الأحوال في القاهرة ويعلق ابن إياس على أثر ذلك على المجتمع المصري آنذاك بقوله" فلما تسحبوا اختفوا بالقاهرة فاضطربت الأحوال وكثر القيل والقال، فلما بلغ السلطان ذلك أحضر المصحف العثماني وحلّف عليه سائر الأمراء ... بأنهم لا يخونوه" [٣].

وكان تسحب السلطان كفيلا بأن يؤثر على الحياة العامة في المجتمع وعلى الأحوال الاقتصادية والأحوال المعيشية ومثال ذلك ما نتج عن تسحب السلطان طومان باي أمام العثمانيين أن دخل الرعب في قلوب الناس وبلغ بهم الحال على حد وصف ابن إياس

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٩.

(٢) المقريزي: السلوك، ج ٧، ص٤١٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١٥،ص٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٣. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٤، ص٩٧.

(٣)ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٨.

بقوله" فانطلق في أهل مصر جمرة نار"[١]، ثم إن جماعة من العثمانيين لما هرب السلطان دخلوا القاهرة وأحرقوا بابها وأطلقوا المساجين من السجون، ونهبوا بيوت الأمراء والأعيان، وأخذوا يخطفون الصبيان والعبيد من الشوارع والبغال والأكاديش من الطواحين، وتوجهوا إلى شون القمح والغلال التي بمصر وبولاق فنهبوها، وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني:

نبكي على مصر وسكانها *** قد خربت أركانها العامرة

وأصبحت بالذلّ مقهورة *** من بعد ما كانت هي القاهرة [٢]

(١) بدائع الزهور، ج٥، ص١٤٦- ١٤٧.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١٤٧.

المبحث الرابع:

العوامل التي حدّت من ظاهرة التسحب.

ويستخلص من دراسة ما سبق من حالات التسحب وأسبابها المحتلفة وكذلك نتائجها العوامل التي تؤثر في الحد من هذه الظاهرة وهي:

قوة شخصية السلطان.

فقد كان لوجود سلطان قوي الشخصية دور كبير في الحد من عمليات التسحب في عهده.

وحدة الصف.

فعندما يكون هناك توافق بين الأمراء المماليك وعزيمة قوية توحد صفوفهم يقل احتما حدوث صراعات داخلية تؤدي إلى التسحب والهروب.

القوة العسكرية.

تكمن قوة أي دولة في جيشها وقوتها العسكرية ولا شك أن القوة العسكرية لدولة المماليك كانت في بعض الفترات عاملا مهما في ردع أي محاولة للتسحب.

الخاتمة

مما سبق ويمكن القول أن المجتمع المملوكي قد شهد ظهور مشكلة تسحب واختفاء البعض خوفا من البطش والجور، وقد لجئوا إلى التسحب والاختفاء حماية لأنفسهم من بعض النهايات البشعة التي آلت إليها حياة غيرهم، أو يلجأ لأعداء الدولة من غير المسلمين، كما إن بعضهم أدركه أجله وهو مختفٍ دون أن يرى أهله.

هذا وقد أوضحت الدراسة أن التسحب يُعد من القضايا المهمة التي تعكس التحديات التي يواجهها الأفراد في المجتمعات وخاصة المجتمع محل الدراسة "مجتمع المماليك الجراكسة"، الذي يعاني بعض فئاته من الظلم والقمع والاستبداد، ولذلك يسعى الكثيرون منهم للهروب من بلدانهم أو من مكانتهم الاجتماعية وما يشغلوه من وظائف خوفًا من العقوبات أو الاضطهاد السياسي أو الاغتيالات السياسية، مما يدفعهم إلى اتخاذ خطوات مختلفة جذرية بحثًا عن الشعور بالأمان والإحساس بالحرية في أي مكان آخر.

- أظهرت الدراسة أن التسحب لم تقتصر على فئة معينة بل طالت جميع فئات العصر المملوكي بداية من السلاطين حتى العديد من أصحاب الوظائف سواء العسكرية أو الديوانية أو الدينية.
- أوضحت الدراسة أن كثيرًا من كبار الأمراء عمد إلى على الخروج على سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة لبعض سياسات السلاطين الظالمة أو طمعا في السلطنة، فمنهم من نجح واستولى على عرش السلطنة ومنهم من فشل فتسحب خوفا من سوء العاقبة، وفي بعض الأحيان كان يتم القبض على المتسحب ومعاقبته وقد يصل العقاب إلى حد القتل، وأحيانًا أخرى كان يتم الصلح مع المتسحب فيعود للظهور مرة أخرى.
- كان الشخص المتسحب عادة ما يظهر إذا انتهى سبب تسحبه، وكان يعفو

عنه السلطان أو يأخذ الأمان، أو تتغير الأوضاع والظروف التي جعلته يتسحب.

- وبعض المتسحبين انقطعت أخبارهم من التاريخ لم يذكر عنهم أي شيء بعد تسحبهم. وبعض المتسحبين كان يقبض عليهم من مكان اختفائهم وذلك ليقظة رجال الدولة.
- كما أظهرت الدراسة أن عقوبة السجن أو غيرها من العقوبات المقيدة للحرية التي يتم توقيعها على مرتكبي الجرائم تكون سببًا للتفكير في التسحب رغبة في الحرية أو دليلا على عدم رضاهم عن الحكم الصادر بحقهم أو رغبة في تفادي العقوبة والمعاملة السيئة داخل السجن.
- أظهرت الدراسة أن من الأسباب الرئيسية للتسحب هو ضعف الحكام والسلاطين ، والصراع على السلطة، فضلا عن بعض الظروف الاقتصادية والتي أدت إلى تدهور الوضع الاقتصادي وزيادة التوتر الاجتماعي مما جعل من السهل على الأمراء استغلال هذه الظروف للقيام ببعض الضغوط على أصحاب الوظائف كالوزراء وغيرهم مما أدى في النهاية إلى خلق جو من التوتر مما حدا ببعضهم إلى أن يركن إلى التسحب حلا للوضع الراهن.
- شهد العصر الجركسي تآمر بعض الأمراء على السلطان وكان ذلك إما صراعا على السلطة أو لمعاونة أحد الطامعين فيها ضد السلطان، وفي كلا الحالتين إذا لم يقدّر لهؤلاء النجاح في مسعاهم كانوا يضطروا إلى التسحب خوفًا من بطش السلطان وانتقامه منهم.
- أثبتت الدراسة أنه بالرغم من ثِقَل المكانة الاجتماعية لبعض الأمراء وموظفي الدولة إلا أنها لم تمنحهم القدرة على التعامل مع الصعوبات وتدارك الأخطاء بل دفعتهم بعض المواقف إلى التسحب والهروب.

- وأخيرًا؛ كشفت الدراسة أن التسحب من الظواهر المهمة التي تستحق دراستها بعمق لأسباب عدة منها حماية حقوق الإنسان، وزيادة الوعي حول قضايا القمع والظلم والاستبداد، وأثرها على المجتمعات فقد يؤدي الهروب إلى فقدان الكفاءات البشرية القيمة مما يؤثر سلبًا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وظهر ذلك واضحًا عند دراسة تسحب أصحاب الوظائف الديوانية والدينية.
- كذلك من الدروس المستفادة من دراسة هذه الظاهرة حتى وإن كانت على صعيد تاريخي إلا أنه قد تتيح دراستها فهم العوامل النفسية والاجتماعية التي تدفع بعض الأفراد إلى أن يلجئوا إلى هذا السلوك، وهذا مما يمكن الحكومة من اتخاذ إجراءات وقائية من الوقوع في مثل هذه المواقف.

التوصيات:

وبعد الانتهاء من الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

أنه من المهم توعية الأفراد حول أهمية التصدي للمشاكل والتحديات، وبحث الحلول والتعامل معها بشكل فعال، بدلاً من اللجوء إلى الهروب والتسحب والاختفاء لأن النفس بطبيعتها تحب الأسهل، وتركن إلى الأهون، ولا تحب القيد، لذلك لا بد من مجاهدتها في كثير من الأحيان وتعويد النفس على التحمل والصبر والجهد.

ملاحق الدراسة:

شكل رقم (١)

المماليك الجراكسة(١) (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

م	السلطان	تاريخ الحكم
١	الظاهر سيف الدين بن برقوق: المرة الأولى	٧٨٤ – ٧٩٠ هـ / ١٣٨٢ – ١٣٨٨ م
–	الصالح حاجي بن شعبان (ولاية ثانية)	٧٩٠ – ٧٩٢ هـ / ١٣٨٨ – ١٣٩٠ م
	الظاهر سيف الدين بن برقوق: المرة الثانية	٧٩٢ – ٨٠١ هـ / ١٣٩٠ – ١٣٩٩ م
٢	الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق	٨٠١ – ٨٠٨ هـ / ١٣٩٩ – ١٤٠٥ م
٣	المنصور عبد العزيز بن برقوق	٨٠٨هـ / ١٤٠٥م
	الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق المرة الثانية	٨٠٨-٨١٥هـ/ ١٤٠٥ – ١٤١٢م
	سلطنة الخليفة العباسي المستعين المؤقتة	٨١٥ هـ / ١٤١٢ م
٤	المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	٨١٥ – ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ – ١٤٢١ م
٥	المظفر أحمد بن المؤيد شيخ	٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م
٦	الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م
٧	الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	٨٢٤ – ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ – ١٤٢٢ م
٨	الأشرف برسباي	٨٢٥ – ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٨ م
٩	أبو المحاسن يوسف بن برسباي	٨٤١ – ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م
١٠	الظاهر جقمق	٨٤٢ – ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ – ١٤٥٣ م

(١) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، ص١٠٦-١٠٧.
سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١٧٠.

١١	المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م
١٢	الأشرف إينال	٨٥٧ – ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ – ١٤٦١ م
١٣	المؤيد أحمد بن إينال	٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م
١٤	الظاهر سيف الدين خشقدم	٨٦٥ – ٨٧٢ هـ / ١٤٦١ – ١٤٦٧ م
١٥	الظاهر سيف الدين بلباي المؤيدي	٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
١٦	الظاهر تمربغا	٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م
١٧	الأشرف قايتباي	٨٧٢ – ٩٠١ هـ / ١٤٦٨ – ١٤٩٦ م
١٨	الناصر محمد بن قايتباي: المرة الأولى	٩٠١ – ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ – ١٤٩٧ م
١٩	الأشرف قانصوه خمسمائة	٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م
–	الناصر محمد بن قايتباي: المرة الثانية	٩٠٢ – ٩٠٤ هـ / ١٤٩٧ – ١٤٩٨ م
٢٠	الظاهر قانصوه الأشرفي	٩٠٤ – ٩٠٥ هـ / ١٤٩٨ – ١٥٠٠ م
٢١	الأشرف أبو النصر جانبلاط	٩٠٥ – ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ – ١٥٠١ م
٢٢	العادل سيف الدين طومان باي الأول	٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م
٢٣	الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري	٩٠٦ – ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ – ١٥١٦ م
٢٤	الأشرف طومان باي الثاني	٩٢٢ – ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ – ١٥١٧ م

شكل رقم (٢) جدول إحصائي يوضح عدد المتسحبين في العصر الجركسي

م	الإسم	مكان التسحب	سنة الاختفاء	أثر التسحب
١	أولا: تسحب السلاطين السلطان برقوق	المدينة	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	قوي مركزه وتمكن من استعادة الجكم
٢	السلطان الناصر فرج	بيت أحد أنصاره	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	استعاد السلطنة بعد أن تحسنت الأحوال
٣	الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي	القاهرة	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	قبض عليه الظاهر جقمق وحبس في قلعة الجبل إلى أن أطلقه الظاهر خشقدم
٤	السلطان أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق	قبض عليه أثناء تسحبه من السجن	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	خلع من السلطنة وسجن وأطلقه السلطان خشقدم وأمر بإكرامه وهو بالإسكندرية
٥	السلطان الظاهر تمربغا	تسحب إلى دمياط ومنها إلى الشام	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	تسحب خوفا من سخط الأشرف قايتباي الذي أرسل الأمير يشبك لقتاله
٦	السلطان الظاهر قانصوه			

	الأشرفي			
٧	طومان باي			دخل العثمانيين القاهرة وملكوها عنوة بالسيف ونهبوا بيوتها وحواريها
١	ثانيا: تسحب الأمراء (أرباب السيوف): أ- نائب السلطنة الطنبغا السلطاني الأشرفي نائب أبلستين		٨٧٢هـ/١٤٦٧م	تسحب لعدم حصوله على ما كان يطمع إليه من سلطة أو من تأييد نواب الشام
٢	الأمير منطاش		٧٩١هـ/١٣٨٨م	قبض عليه وقتل
٣	دمرداش المحمدي نائب السلطنة		٨٠٧هـ/١٤٠٤م	تسحب بعد أن عجز عن التصدي للأمير جكم، ثم عاد إلى حلب بعد أن خرج جكم منها
٤	تسحب الأمير شيخ والأمير نوروز	تسحبوا من بلاد لآخر في مدن بلاد الشام	٨١٢هـ/١٤٠٩م	هرب من الحرب والمواجهة مع جيش السلطان الناصر فرج، وتحالف مع الأمير نوروز واستولوا على قلاع وحصون

				بلاد الشام
٥	الأمير جقمق نائب الشام الأميران مقبل الدويدار، وطوغان أمير آخور	تسحبوا إلى صرخد	٨٢٤هـ/١٤٢١م	توجه السلطان ططر إلى الأمراء المتسحبين الهاربين في صرخد، فقبض على جقمق وحُبس، ونفى طوغان إلى القدس بطالاً
٦	الأمير جانم نائب الشام		٨٦٦هـ/١٤٦٢م	لحقه أحد الجند وقتله
١	ب- نائب القلعة الأمير منطوق نائب قلعة دمشق	دمشق		قبض عليه، ثم قُتل، وقطعت رأسه، وطيف بها في دمشق، وعلقت على سور قلعتها
٢	ابن شهري نائب قلعة دروكي		٨٥٧هـ/١٤٥٤م	فقد وظيفته
٣	الأمير قانصوه الأشرفي نائب قلعة حلب		٩٢٢هـ/١٥١٧م	قبض عليه وحبس جزاء فعلته
١	ج- الأتابكية محمد بن بيدمر أتابك عسكر الشام	مصر	٧٩١هـ/ ١٣٨٩م	تسحب ومعه المماليك المنهزمين أمام الظاهر برقوق، خوفًا من بطشه بهم إلى أن شفع له وعفي عنه
٢	جاني بك الصوفي أتابك		٨٢٦هـ/١٤٢٢م	قتل من قبل أن يتمكن السلطان

	العسكر			منه
١	د- الولاة حسين بن الكوراني والي القاهرة		٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م	أعيد إلى وظيفته
١	هـ- الدوادارية الأمير طوغان الحسنى الدوادار	مصر	٨١٦هـ/١٤١٣م	قبض عليه وسجن في الإسكندرية
٢	الأمير مقبل الدويدار، والأمير أسندمر النوري أمير طبلخاناة	الشام	٨٢٤هـ/١٤٢١م	لجأوا إلى التسحب خوفا على أنفسهم من الأمير ططر لأنه أشيع عنهم الخروج على السلطان المؤيد قبل وفاته
١	رأس نوبة النوب الأمير سنطباي قرا الظاهري	القاهرة	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	تم نفيه إلى الشام
٢	الأمير خشكلدي البيسقي	لم تذكر المصادر أين ذهبوا	٩٠٦هـ/١٥٠٠م	تسحب حينما علم بأمر السلطان طومان باي بأن يتوجه منفيًا إلى القدس بطالاً
	الاستادارية			

١	سعد الدين بن غراب	لم يعرف له طريق	٨٠٣هـ/١٤٠١م	عاد لوظيفته مرة أخرى
٢	الزين يحي الاستادار	لم يعرف له طريق	٨٦٣هـ/١٤٥٨م	عاد لوظيفته مرة أخرى
٣	تغري بردي الاستادار	ــــــــــ	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	قرر غيره في الوظيفة لما طال تسحبه
	أمير أخر			
١	قانصوه الأشرفي خمسمائة	الرملة	٩٠٠هـ/١٤٩٤م	لم يظهر مرة أخرى ولا يعلم أحد مكانه
	ثالثًا: تسحب أصحاب الوظائف الديوانية المدنية (أرباب الأقلام):			
١	الوزارة فخر الدين بن أبي الفرج	بغداد	٧١٨هـ/١٤١٤م	تم العفو عنه والأمان بما طيب خاطره
٢	أمين الدين بن الهيصم	لا يعرف مكان تسحبه	٨٣٨هـ/١٤٣٥م ثم تسحب بعد ذلك مرات عديدة	أعيد إلى الوزارة مرة أخرى
٣	أرزمك التركي	لا يعرف مكان	٩١٠هـ/١٥٠٤م	عفي عنه وخففت عقوبته من

		تسحبه		القتل إلى النفي
١	نظر الخاص الزين عبد الرحمن بن الكويز	لا يعرف مكان تسحبه	٨٦٥هـ/١٤٦١م	عاد وظهر بعد مده وأمر السلطان بالتوكيل به وطالبه بالمال
١	نظر الدولة موفق الدين أحمد بن عبدالرازق	لا يعرف مكان تسحبه	٨٨٧هـ/١٤٨٢م	أعيد إلى وظيفته
١	جانب بك شاد الشراب خانة وخاير بك كاشف الغربية	ـــــــــ	٩٠٧هـ/١٥٠١م	اضطراب الأحوال في القاهرة
را بـ عً ا	تسحب أصحاب الوظائف الدينية (أرباب العمائم):			
١	القضاء القاضي محمد بن على السبكي	عند الشيخ إبراهيم بن أبي بكر الموصلي	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	مات مختفيا
٢	القاضي ولي الدين السفطي الشافعي			لم يظهر حتى نكب بمن كان سببا في اتهامه ظلما

		ـــــــ	٨٥٣هـ/١٤٤٩م	
١	الحسبة صدر الدين أحمد بن العجمي	لم يعرف مكانه	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	عزل عن وظيفته وصدر حكم بنفيه
١	الوعاظ أبو العباس أحمد المِجْدَلي	إلى القاهرة	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	عفى عنه وأطلق سراحه
٢	جلال الدين محمد خطيب داريا	إلى القاهرة	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	ولم يظهر إلا بعد أن عفي عنه القاضي واكتفى بعزله من وظيفته
٣	محمد بن عبد الله بن طغاى	إلى القاهرة	٨٧٠هـ/١٤٦٥م	ظل مختفيا حتى توفى السلطان ثم ظهر بعده
خامساً	تسحب المماليك			
١	ماماي الداودي	ـــــــ	٩١٢هـ/١٥٠٦م	ضرب ونفي
سا	تسحب أرباب الصناعات			

د س ا	والحرف			
١	محب الدين رئيس أطباء السلطان خشقدم	لا يعرف مكان اختفائه	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	قبض عليه وسجن بالبرج حتى شفع فيه
٢	رجلا من الحجّارين	لا يعرف مكان اختفائه		لم يظهر مرة أخرى

شكل رقم (٣)

جدول يوضح أعداد المتسحبين حسب الأسباب المؤدية لتسحبهم

م	السبب	العدد
أولا	ضعف السلاطين وتسحبهم خشية القتل	٧
ثانيا	الخروج على السلطان وإعلان العصيان والتمرد	٦
ثالثًا:	التسحب خوفا من نقمة الحكام وسخطهم	١٠
رابعا:	الجبن والخوف وعدم الثبات أمام الأعداء	٣
خامسًا	التسحب خوفا من العقوبة	١١
سادسًا	التسحب نتيجة الإحباط والإحساس بالعجز أمام المشاكل الاقتصادية	٥
	المجموع	٤٢ حالة

شكل رقم (٤)

جدول يوضح أعداد المتسحبين حسب الفئة السكانية

م	الفئة	العدد
أولا	تسحب السلاطين	٧
ثانيا	تسحب الأمراء (أرباب السيوف):	٢٠
	أ- نائب السلطنة	٦
	ب- نائب القلعة	٣
	ج- الأتابكية	٢
	د- الولاة	١
	هـ- الدوادارية	٢
	رأس نوبة النوب	٢
	الاستادارية	٣
	أمير أخور	١
ثالثًا:	تسحب أصحاب الوظائف الديوانية المدنية (أرباب الأقلام):	٦
	الوزارة	٣
	نظر الخاص	١
	نظر الدولة	١

	شاد الشراب والكاشف	١
رابعا:	تسحب أصحاب الوظائف الدينية (أرباب العمائم):	٦
	القضاء	٢
	الحسبة	١
	الوعاظ	٣
خامسًا	تسحب المماليك	١
سادسًا	تسحب أرباب الصناعات والحرف	٢
	المجموع الكلي للمتسحبين	٤٢ حالة

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

❖ أولًا: المصادر

- ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٦ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- البصروي: علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدين الدمشقيّ (ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م) تاريخ البصروي، تحقيق: أكرم حسن العلبي، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- البقاعي: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعي (ت٨٨٥هـ/١٤٨١م): إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ط١، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض، ١٩٩٣م.
- ابن تغري بردي: أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م): حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جزءان، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط١، عالم الكتب،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الدليل الشافي على المنهل الصافي، جزءان تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٧ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م.

مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، جزءان، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٧م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية.
- ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، ٤ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

رفع الإصر عن قضاة مصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ابن حجي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي الحسباني الدمشقي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م): تاريخ ابن حجي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، جزءان، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- ابن الحمصي: أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ابن الحمصي (ت٩٢٤هـ/١٥٢٧م): حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ٣ أجزاء، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن يدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م): النفحة المسكية في الدولة التركية. ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرازق مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٥٠هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٠ جزء، دار الهداية، د.ت.
- السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م): التبر المسبوك في ذيل الملوك، ٤ أجزاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، د. ط، ١٨٩٦م.

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ٣ أجزاء، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦ أجزاء، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ٤ أجزاء، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ابن شاهين: عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين (ت٩٢٠هـ/١٥١٥م): نيل الأمل في ذيل الدول، ٩ أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ٤أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزءان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د . ت.
- شيخ الربوة: شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، طبعة الأكاديمية الإمبراطورية،١٨٦٥م.
- ابن صصري: محمد بن أحمد بن صصري (٨٠٠هـ/١٣٩٧م): الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية. تحقيق: وليم م . برينر، بركلي– كاليفورنيا، ١٩٦٣ م
- ابن الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠م.

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٤ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧٠م.

- ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن خمارويه الدمشقي(ت٩٥٣هـ/١٥٤٧م): إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق: عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان، جزءان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- العاصمي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي المكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤ أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ابن عربشاه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عربشاه الدمشقي

الحنفي(ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر أبي سعيد جقمق المعروف بـ سيرة السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين جقمق، ط١، تحقيق: محمد شعبان أيوب، دار البشير للثقافة والعلوم، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

- العليمي: مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي(ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م): التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣١هـ/٢٠١١م.
- ابن العماد: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١١ جزء، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- العيني: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٩٩٨م.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك. تحقيق: محمد محمد أمين – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- الغَزِّي: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م): تاريخ ابن الفرات، الجزء التاسع، منشورات كلية العلوم والآداب – الجامعة الامريكية، بيروت، د.ت..

- ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، (د، ط)، (١٤٠٦هـ /١٩٨٦م)
- ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م): تاريخ ابن قاضي شهبة، ٤ أجزاء، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م.
- القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.

- الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي، يؤرخ من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ٥٥٤هـ حتى عهد الأشرف قايتاباي٨٧٧هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- مرعى بن يوسف الكرمى: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٣هـ/١٦٢٣م): نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، تحقيق أميرة فهمي محمد دبابسة، جامعة النجاح الوطنية، د.ت.
- المقريزى: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ٤ أجزاء، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،

سوريا، ١٩٩٥م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨ أجزاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ابن المقفع: ساويرس ابن المقفع (ولد سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م. وغير معروف تاريخ الوفاة): تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢.
- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، بيروت، دار صادر ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ٧ أجزاء، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

❖ ثانيا: المراجع

- أحمد سامح الخالدي: رجال الحكم والإدارة في فلسطين من عهد الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر القاهرة، ٢٠١٢م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- إيمان عمر شكري: السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٨)،مكتبة مدبولي،القاهرة،٢٠٠٢.
- تاج الملوك الحلبي، جلال الدين النوري: تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفا، وهو ضمن كتاب منتخبات من حوادث الدهور لابن تغري بردي. حرره: وليم بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.
- حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٢٢١.
- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٦م.
- زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٦م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- السيد محمد الدقن: السلطان الأشرف طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م/٢٠٠٣م.
- عبدالمنعم ماجد : طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،١٩٧٨م.

- علي عبد القادر: " الفقه الإسلامي القضاء والحسبة مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية "، المؤسسة العربية، (د، ط)، (١٩٨٦م).
- محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، القسم الثاني ويشمل مديريات الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- محمد الزحيلي: الوزارة في الإسلام(تاريخها وأحكامها)، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧.
- محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ط ١، دار النفائس، بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م
- محمد عبد الغني الأشقر: أتابك العسكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

نائب السلطنة المملوكية في مصر من(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، ط١، نشر مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص١٩٥٤، رقم ٢٧٣٧

❖ ثالثاً: الدوريات:

- عائشة بنت محمد بن مبخوت الحمدان: الفرار في ضوء القرآن الكريم، مجلة

معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، مج(١٤)، العدد (٢٧)، جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

- غزوة شهاب أحمد، أحمد مولود أحمد: إمارة بني دلغادر وعلاقتها الخارجية في القرنين الثامن والتاسع الهجري، مجلة التراث العلمي، سامراء، العدد (٣٨)، ٢٠١٨م.
- محمد السيد فياض: ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم، العدد الثلاثون، سبتمبر، ٢٠١٩م.